

ألم  
الرّفْض

9

نعمة  
القُبُول



رسالةُ رجاء  
لكلِّ مَنْ اختبر  
الرّفْضَ في حياته

جون كوبلينتز



Originally Published in English under the title:

**ACCEPTED IN JESUS**

Christian Light Publications, Inc.

Harrisonburg, Virginia 22802

© 2016 by Christian Light Publications, Inc.

All rights reserved.

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

الكتاب: ألم الرّفص ونعمة القبول  
رسالة رجاءٍ لكلِّ مَنْ اختبر الرّفصَ في حياته

المؤلف: جون كويلنتز

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص. ب. ١٦٥ منصورية، المتن- لبنان

هاتف: +٩٦١٤٤٠١٩٢٢

فاكس: +٩٦١٤٥٣٢٤٨١

بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com

موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com



الناشر: دار منهل الحياة بإذن من Christian Light Publications

الترقيم الدولي: 978-614-460-030-6

جميع الحقوق بالغة العربية محفوظة للناشر وحده،  
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر.  
وللناشر وحده حق إعادة الطبع والنشر من خلال النسخ المطبوعة  
أو أية وسيلة سمعية أو بصرية، أو عبر الانترنت في أي مكان.

# المحتويات

|     |  |  |
|-----|--|--|
| ٥   | المقدِّمة                                  |  |
|     | الفصل ١                                    |  |
| ٧   | أمثلةٌ كتابيَّةٌ عن الرِّفْض               |  |
|     | الفصل ٢                                    |  |
| ١٧  | التَّوقُّ إلى التَّواصل                    |  |
|     | الفصل ٣                                    |  |
| ٢٥  | ردودُ فعلٍ خاطئةٌ تجاه الرِّفْض            |  |
|     | الفصل ٤                                    |  |
| ٤٧  | المشاكلُ الأساسيَّةُ المتعلِّقةُ بالرِّفْض |  |
|     | الفصل ٥                                    |  |
| ٥٩  | تغيُّيرٌ في التَّمركز                      |  |
|     | الفصل ٦                                    |  |
| ٧١  | مقبولٌ في الحبيب                           |  |
|     | الفصل ٧                                    |  |
| ٨٥  | ثابِتٌ في يسوع                             |  |
|     | الفصل ٨                                    |  |
| ١٠٥ | قبولٌ بعضنا بعضاً                          |  |



## المقدّمة

"وَلَكِنْ اَعْلَمَ هَذَا أَنَّهُ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمَنَةٌ صَعْبَةٌ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لَأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لَوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنَسِينَ، بِلَا حُنُوٍّ، بِلَا رِضَى، ثَالِبِينَ، عَدِيمِي النَّزَاهَةِ، شَرَسِينَ، غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلَاحِ، خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةِ اللَّهِ، لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرَضَ عَن هَؤُلَاءِ" (٢ تيموثاوس ٣: ١-٥).

عند قراءة وصف "الأيام الأخيرة" هذا، نتساءل ما إذا كان بولس يرى من خلال الرُّوح أميركا في القرن الحادي والعشرين. فانطبق الوصف علينا، يعني أنَّ الخطر محققٌ بنا، وأننا في ورطة كبيرة.

يبدو اليوم أنَّ بعض المسيحيين (وغير المسيحيين) محقون في شعورهم بالأسى الشديد على قيام علماء النفس بإيجاد مسميات لكلِّ أمرٍ غريبٍ يختبره الإنسان تقريبا، وتصنيفه على أنه اضطراب أو متلازمة أو اضطراب عصبي. قد تبدو هذه الظاهرة من التصنيف القهري مضحكة، لكنَّها حقًا مثيرة للقلق، لأنَّها تحجُب مشكلةً أخطر. فمجتمعا العازم على الانغماس في الذات، رياحه السائدة جامحة وخطيرة. وعندما يحبُّ النَّاسُ أنْفُسَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ السُّلْطَةَ، وَيَتَخَلَّوْنَ عَنِ التَّزَامَاتِهِمْ، وَيَنْغَمْسُونَ فِي شَهَوَاتِهِمْ، وَيُؤْذُونَ الْآخَرِينَ وَيَكْرَهُونَهُمْ، وَالْمَثِيرَ لِلسُّخْرِيَةِ هُوَ أَنَّهُ يَصِلُ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى كُرْهِ أَنْفُسِهِمْ أَيْضًا.

## ألم الرِّفْض ونعمة القَبُول

فالتَّركيز على الذات، وتجاهل الآخرين، وما ينتج عن ذلك من دمار في العلاقات، يترتب عليه دفع ثمن باهظ. فيقع النَّاس في بؤرة القلق، والشُّعور بالوحدة والمرارة والاكتئاب والألم واليأس.

ربَّما يفرط علماء النفس في المسمِّيات والتصنيفات، لكنَّهم أيضًا يؤرِّخون الظروف التَّعيسة في ثقافةٍ عازمةٍ على حبِّ نفسها حتَّى الموت.

ثقافتنا هي ثقافة الرِّفْض، لأنَّ رفض الآخرين هو طبيعة متجذِّرة في محبِّي أنفسهم. وبدون الله، لن يجِدَ المرفوضون مصدرًا للشِّفاء.

ولكن هناك أمل! فالكتاب المقدَّس يزرع بأمثلة عن أشخاص واجهوا الرِّفْض، ومنهم مَنْ كان ردُّ فعله صحيحًا ومنهم مَنْ كان ردُّ فعله خاطئًا. حتَّى يسوع نفسه رُفِضَ.

لذا عندما نختبر الرِّفْض، ليس علينا أن نقضي أيَّامنا في البؤس والإحباط والمرارة، لأنَّ كلمة الله تزوِّدنا بالتَّوجيهات ويسوع يقدِّم لنا نفسه مثالاً وقُدوة.

تهدفُ هذه الدِّراسة إلى أن تكون صادقة وعملية في آن. فنحن نعبُر واديًا واقعيًّا، وكلمة الله لا تتجاهل أبدًا الألم والمعاناة الناتجين عن الكرب البشري. ومن خلال هذه الدراسة سنتمكَّن من أن نقفَ على مرتفعات النِّعمة والنُّضج الروحي، لأنَّ كلمة الله تطمئننا على وجود حلول للصُّعوبات التي نواجهها. وستمتلئ حياتنا بفرح عظيم، وسنطوِّر شخصياتنا لتصبح قويَّة، لا على الرغم من وجود الرِّفْض، إنَّما تحديِّدًا بسبب الرِّفْض. والله كليُّ القدرة إذا أتَّحنا له في المجال كي يكون هو الإله في حياتنا.

## الفصل ١

### أمثلة كتابية عن الرفض

"لأنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُنْتُ كُنْتُ لِأَجْلِ تَعْلِيمِنَا حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ" (رومية ١٥: ٤).

"فَهَذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا وَكُتِبَتْ لِإِنذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ" (١كورنثوس ١٠: ١١).

نكتشف من خلال هذه المقاطع وغيرها مدى فائدة دراسة قصص رجال ونساء في الكتاب المقدس. فقد كانوا بشرًا مثلنا وواجهوا تجارب وتحديات، وخيبات أمل، وانتصارات. وقد أخطأوا، وجرحوا، ونزفوا، وبكوا، وصلوا. وبعضهم لجأ إلى الله، والبعض الآخر تحوّل عنه بعيدًا.

في الصفحات التالية، سوف نتأمل في حياة بعض رجال ونساء الكتاب المقدس الذين عانوا الرفض في العلاقات. تعرض قصصهم مجموعة واسعة من الظروف وردود الأفعال السليمة وغير السليمة. أمل أننا بعد التأمل بردود أفعالهم، سنكون قادرين على رؤية أنفسنا، والاستفادة من اختباراتهم، والاستعداد بشكل أفضل لمواجهة أعاصير تعرضنا للرفض.

## ألم الرِّفْضِ ونعمة القَبُولِ

### المثال رقم ١: هاجر رُفِضَتْ من سارة (تكوين ١٦).

عندما حملت هاجر بابن لإبراهيم، تغيَّرت العلاقة بينها وبين سارة. ولم يكن السَّبب مجرد أن سارة شعرت بالغيرة من هاجر، إنما نقرأ أن سارة "صغرت في عيني" هاجر، أي أن هاجر نظرت إلى سارة بازدراء. فالعلاقة التي كانت تجمع بين سارة السيدة وهاجر الجارية، تحولت إلى علاقة تزدري فيها الجارية بسيدتها.

يبدو أن هاجر ظنت أن قدرتها على الحمل زادتها شأنًا، وجعلتها تتفوق على سارة. فعلى الرغم من كونها جارية، استطاعت أن تجعل إبراهيم أبًا، ما عجزت سارة عن فعله. وهذا دفعها للشعور بالاستعلاء ولاحتقار سيدتها العاجزة عن الحمل.

شعرت سارة بتغيُّر في معاملة هاجر وشكَّتها لإبراهيم. وهو، كأبي رجل لا يريد إثارة المشاكل، قال: "افعلي بها ما يحسنُ في عينيك".

وهكذا فعلت سارة. فمن خلال القصة نعلم أنها "أذلتها"، ما دفع بها لهرب من وجهها. ولكن الله أعادها إلى بيت إبراهيم، حيث عاشت سبع عشرة سنة أخرى.

ولكن القصة لم تنته هنا. ففي النهاية حملت سارة، وانضمَّ إسحق إلى العائلة. وبعد بضع سنوات، اكتشفت سارة أن إسماعيل يسخر من إسحق. فبادرت فوراً إلى طرد الابن مع والدته، وقد نجحت في ذلك (تكوين ٢١: ١٠-١٤). وهنا نلاحظ بعض الأمور المرتبطة بموضوعنا:

١. تصرف إسماعيل بالطريقة التي تصرف بها والدته قبل بضع سنوات إذ نظر باحتقار.

٢. عبَّر ردُّ فعل سارة على تصرف إسماعيل عن مشاعر الألم المتراكمة عبر السنين. فمواقف الظلم التي لم تحلَّ تخمَّرت بشكل سيئ! وكانت كلما مرَّ عليها الزمن، تجلبُّ المزيد من المتاعب.

٣. الرّفص يولّد الرّفص بأكثر من طريقة. أنا أرفضك فترفضني أنتَ بدورك. ليس هذا فقط، ولكن عندما أرفضك، كلٌّ من هم "معي" سوف يميلون إلى النظر إليك بالشكل السّلبى نفسه. وهكذا إنّ عائلات بأسرها ترفض عائلات أخرى. وأمّم وأعراقٌ بأكملها تنظر بارتياح بعضها إلى بعض. وقد يدوم الرّفص لسنوات، ويستمرّ حتّى من جيلٍ إلى جيلٍ.

### المثال رقم ٢: يوسف رُفص من إخوته (تكوين ٣٧).

من المفارقات في سنوات نشوء يوسف أنّه كان المفضّل عند أبيه، في حين كان مرفوضاً من إخوته. وكلّما كان أبوه يفضّله أكثر، ازداد موقف إخوته منه سوءاً. ولم يكن يوسف يساهم في التّخفيف من حدّة الموقف، بل كان يشكو إلى والده سلوك إخوته السيئ خارج المنزل. وكان يقصّ عليهم أحلامه التي كانت تثير غيظهم جدّاً.

لا شيء من هذا يبرّر سوء نيّة إخوة يوسف. فقد كانوا يكرهونه بشدّة، وما أن سنحت لهم الفرصة حتّى باعوه عبداً بكلّ سرور.

قليلاً ما نستطيع أن نتخيّل المشهد -يوسف ينوح ويتوسّل إلى إخوته بينما هم يتفاوضون مع التّجار على سعره. وعلى الرغم من شرّهم، شقت الذاكرة طريقها حتّى إلى ضميرهم القاسي، وبعد سنوات قالوا: "حقّاً إنّنا مُذنبون إلى أخيّن الذي رأينا ضيقه نفسه لَمَّا اسْتَرْحَمْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذَلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هَذِهِ الضّيقة" (تكوين ٤٢: ٢١).

الرّفص يكوي القلب ويحفر الذاكرة! ما الذي نلاحظه في هذا الخلاف العائلي المؤسف؟

١. يرتبط الرّفص في العلاقات الأسريّة بالتّفضيل ويزيده هذا سوءاً. لربّما أنكر يعقوب رفضه بقيّة أبنائه، لكنّ تفضيله ليوسف كان يُترجم على أنّه رفض للآخرين. وكان رفضهم تجاه يوسف يزداد كلّما لقي يوسف معاملة خاصّة من أبيهم، مثل هديّة القميص الملون.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

٢. كلّما كانت العلاقة قريبة، كان الرّفص أكثر إيلاًماً. تعرّض يوسف لسوء المعاملة، ليس على يد غرباء إنّما على يد أفراد أسرته. فلو كانت عصابة من الخارجين عن القانون هي التي طرّحته في حفرة وباعته عبداً لكان الأمر مختلفاً، لكنّ قيام إخوته بذلك بدا بالتأكيد كقطعنة في القلب.

٣. غالباً ما يشعر مَنْ يرفضون الآخرين بوجود عذر يبرّر تصرفهم. نحن ندين إخوة يوسف ونعتبرهم قساةً وبلا رحمة، لكن ربّما في ذهنهم كانوا فقط "يعادلون النتيجة". بعبارة أخرى، حان الوقت لذلك الصبي المدلل والمفضّل لدى أبيه أن يذوق طعم النّبذ. دائماً ما يصبّح المنطق خطيراً، عندما نحاول بأنفسنا تحقيق التوازن في موازين الظلم!

٤. يصبّح الرّفص بسهولة حلقةً مفرغة. فأنا لا أميل فحسب إلى رفض أولئك الذين يرفضونني، لكنني أمررُ عادات الرّفص السيئة لأولادي. حمداً لله أنّ يوسف استجاب بشكلٍ جعل الرّفص على الأقلّ محصوراً جزئياً ضمن العائلة المضطربة. لولا نعمة الله، لقام الأولاد المرفوضون، متى أصبحوا أهلاً، برفض أولادهم. قد نتوقّع أنّنا سنتجنّب الوقوع في الخطأ نفسه، لأننا نحن اختبرنا الرّفص. إنّما في الواقع، نميلُ إلى "جرّح الآخرين في المناطق نفسها التي كان فيها جرحنا أعمق".<sup>1</sup>

٥. لا حاجة إلى الاستمرار في دوامة الرّفص. حمداً لله على وجود الغفران! عندما يوجّه المرفوضون قلوبهم إلى الرّب، فإنّهم يجدون الشفاء، والغفران، والتّحرير. ولا حاجة بعدئذٍ إلى العيش في البؤس والمرارة كلّ أيام حياتهم. فبإمكانهم الاستمتاع بحلاوة الوجود في محضر الرّب حتى في أحلك الظروف. ويعدّ يوسف مثالا رائعا عمّن واجه الرّفص بشدّة، إنّما لم يتمكّن الرّفص من تدميره بسبب ثقته بالرّب.

1 Sandra Wilson, *Hurt People Hurt People*, (Discovery House Publishers, Grand Rapids, MI, 2001), p. 32.

٦. في أحيانٍ كثيرة، الشخص الَّذِي جرحنا بعمق يصح تحت رحمتنا في النَّهاية. نرى هذا في العديد من قصص الكتاب المقدَّس. فقد تزوَّد يوسف بالمنصب والقوَّة وكان بوسعه استخدامهما للانتقام من إخوته. كذلك كان بإمكان موسى أن يقفَ بعيداً يتأملُ الرَّبَّ وهو يهلكُ المتذمِّرين من الشعب القديم. كما سنحت الفرصة لداود للتخلص من شاول وقتله. يبدو أنَّ الله يديرُ هذه الأحداث كي يفسحَ، من ناحية، في المجال للذين يمارسون الرِّفْض أن يتوبوا، وكي يمتحنَ ويُنضجَ شخصيَّة أولئك الذين أبدوا ردَّ الفعل الصَّحيح تجاه الرِّفْض، من ناحية أخرى.

### المثال رقم ٣: شاول رُفِضَ كملكٍ من الرَّبِّ (١ صموئيل ١٥).

إنَّ رَفْضَ شاول كملك جاءَ بعد سلسلة من الأحداث أدارَ خلالها شاول دفَّةَ الأمور بنفسه، وعند مواجهته، أوجدَ لنفسه أعذاراً. أولاً، "تجلَّد" ليقدم ذبيحة لأنَّ صموئيل لم يأتِ على الفور (١ صموئيل ١٣: ١٢). ثانياً، فشلَ في تنفيذ تعليمات الله الواضحة بالقضاء على عماليق (١ صموئيل ١٥). وقد أوجدَ لنفسه العذر تلو الآخر أمام صموئيل حتى اعترف أخيراً قائلاً: "لقد أخطأت". وقد قال الرَّبُّ بوضوح من خلال صموئيل إنَّ شاول نحى نفسه بنفسه عن قيادة المملكة، وسوف يحلُّ محله رجلٌ أكثر أمانة (انظر ١ صموئيل ١٣: ١٤ و ١٥: ٢٦-٢٨). لكن على الرغم ممَّا قاله الله -أو ربِّما بسببه، تشبَّث شاول يائساً بمنصبه وراح يتعاملُ بشراسة مع كلِّ شخصٍ يهدده.

نتعلَّم الكثير عن الرِّفْض في القيادة من خلال التأمُّل بحياة شاول.

١. الرِّفْض من منصب ما ليس مرادفاً لرفضك كشخص. بدا شاول غير قادر على تمييز ذلك. قد يُجرَّب القادة بالاستحواذ على منصبهم. وفي الحقيقة، منحَ الله شاول الحقَّ بأن يكون ملكاً، وكان لله الحقُّ الكامل باسترداده مرة أخرى. وبالتأمُّل بحياة الملوك الآخرين وبخطاياهم، نرى أنَّ شاول كان ليجد العفو والغفران لو تابَ توبة حقيقيَّة، حتَّى لو استردَّ الله المُلْك منه.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

٢. الإنسان الذي يبذلُ قصارى جهده في الدّفاع عن منصبه بعد أن تسبّب بتتحيّيه عن الحكم يجعل الأمور أسوأ. كم بالحريّ إن كان شاول قد قبلَ واقع حكم الله، وواجهَ خطاياَه وفشله بصراحة، وعَرَضَ أن يدعم مَنْ سيخلفه! لكن كما حدث، سارت الأمور من سيّئ إلى أسوأ. عانى شاول وعانى داود، وعانى المقربون من شاول وداود، وعانت المملكة كلّها إذ كان شاول يرتكب خطأً تلو الآخر.

٣. الإنسان الذي يواجه الرّفص وهو يخدم في منصبه العامّ قد يُجربُ باستغلال هذا المنصب لمنفعته الشخصية. وقد استخدمَ شاول أساليب التّخويف، كما استخدم منصبه للإيقاع بمنافسيه. واتّخذ على ما يبدو خطوات تهديد ضدّ أقارب داود (١صموئيل ٢٢: ١-٤).

٤. جرّد الذين وقفوا في طريقه من منصبهم وحقوقهم. وفي النّهاية سخرَ موارد المملكة وموظفيها لمطاردة داود. قد نتساءلُ كم من الوقت والمال أُهدر، وكم تقرير زورٍ إرضاءً لشاول في عمليّة دفاعه عن نفسه.

٥. كلّما زاد الرّفص علانيةً، زاد ألمه. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ شاول ليس الشّخص الوحيد الذي اختبر الرّفص في منصبه العامّ. شعرَ صموئيل أيضاً بالرّفص عندما طلبَ النّاس ملكاً، مفضّلين حكمة أبناء صموئيل الفاسدين. سوف يواجهُ جميع القادة الرّفص بدرجة أو بأخرى؛ الرّفص الشّخصي، ورفض أفكارهم، ونقد كفيّة تعاملهم مع المواقف، ونقد أفراد أسرّتهم، وأكثر. هناك بالطبع اختلاف واضح بين الرّفص بسبب الأمانة، والرّفص بسبب الخيانة. لكنّ الحقيقة هي أنّه كلّما كان الرّفص علنيّاً، تطلّب الأمرُ شخصيّة قويّة تردّ بحكمة وتواضع.

### المثال رقم ٤: داود رُفض من شاول (١صموئيل ١٨)

على الرغم من أنّ داود أصبح صهر الملك، إلّا أنّ الانطباع الواضح لدينا هو أنّ شاول رتبَ هذا عن اضطرار، وليس عن اختيار. في النّهاية، غابت هذه الحقيقة

عن داود أيضًا. ومضى من كونه بطلاً وطنياً ليلقبه شاول بالعدوِّ اللدود العلني رقم واحد.

قضى داود عدة سنوات هارباً، بعد أن اقتطعَ من منزله وأسرته، غير عالم بالخطر أو المشكلة التي قد يخفيها اليوم. ولربما أثرَ شاول حتى على نظرة أفراد أسرة داود لداود نفسه (انظر مزمور ٢٧: ١٠). ولكن خرجت من هذه الأوقات الصعبة مزامير كثيرة جميلة (بالإضافة إلى مزمور ٢٧، انظر المزمور ٧ والمزمور ٣٤). نلاحظ:

١. جميع النَّاس يواجهون الرِّفْض، الصَّالِحون منهم والطَّالِحون. وفي حالة داود، رجلٌ شريرٌ رفضَ رجلاً صالحاً. لكن الصَّالِحين قد يرفضون الأشرار أيضًا. بالتأكيد، قد يرفضُ الأشرارُ أشراراً آخرين. والمحيِّرُ أكثرُ هو أنه في بعض الأحيان، يرفضُ الصَّالِحون صالحين آخرين. ينبغي ألا تحدثُ مثل هذه الأمور، لكننا نعيش في عالم مقلوب رأساً على عقب حيث يبدو كلُّ شيء ممكناً. والمؤسف في الأمر، أنَّ الكنيسة والأسر المسيحية تبدي أحياناً هذه الفوضى المشوِّشة نفسها.

٢. قد ينتجُ الرِّفْض عن عوامل أخرى. فمرارة شاول دفعته إلى أن يرى في داود منافساً مع أن داود كان يضحِّي بنفسه لدعم شاول. وقد يرفض الأشرار الصَّالِحين لأسباب أخرى غير رؤيتهم كمنافسين. فعلى سبيل المثال، قد يذكُر الرَّجُلُ التَّقِي الشابَّ المتمرِّد بوالده المنافق الذي يحاول أن يبدو تقياً أمام الآخرين، فيبادرُ الشابَّ إلى رفض الرَّجُل التَّقِي على الفور رغم كونه صادقاً. وقد نرفضُ الشَّخص ببساطة لمجرد ارتباطه بعائلة، أو مكان، أو عرق، أو شريحة عمرية، نحن متحيِّزون ضدها.

٣. الرِّفْض مُعد. عندما يرفضُ صديقي شخصاً آخر، من السَّهل أن أنساق لمسايرة الرِّفْض. لا نعلمُ كم عدد الأشخاص الذين تأثروا برفض شاول لداود، أو ما كان مدى تأييد رجال شاول له اختياراً، لكنَّ البعض أيِّدوه بالتأكيد. وبعد سنوات

## ألم الرّفْض ونعمة القَبول

عديدة، نجدُ شمعي يشتمُ داود، ما عَكَسَ المشاعر السيئة التي كان يَكُنُّها شاول من نحوه (انظر ٢ صموئيل ١٦: ٥-٨).

٤. عندما نستجيبُ بالشكل الصّحيح، يستطيعُ الله أن يستخدمَ الرّفْض كوسيلة لتليين قلوبنا وإعدادنا لخدمة فعّالة. كتبَ داود المزامير خلال السنوات المربكة والمؤلمة التي تعرّض خلالها للرّفْض العلني. لذا يمكننا أن نتيقّن من أن داود كان الملك الأكثر حكمة نتيجة السّنوات التي عانى فيها تحت يد شاول وقمعه.

يمكننا دراسة أمثلة أخرى من الكتاب المقدّس. فزوجات عيسو عانينَ الرّفْض من حميهنّ، ويبدو أن عيسو شعَرَ بهذا شخصياً (تكوين ٢٨: ٨، ٩). كما رُفِضَ يفتاح من إخوته لأنّ والدته كانت زانية (قضاة ١١). وإرميا، إلى جانب العديد من الأنبياء في كلِّ تاريخ الأمة القديمة، رُفِضَ من الشعب الذي استاءَ من رسالته (إرميا ١: ١٩). وكان يسوع "مُحْتَفَرًا وَمَخْذُولًا مِنَ النَّاسِ" (إشعيا ٥٣: ٣). "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا ١: ١١). ثمَّ إِنَّ الأعمى ابن الأربعين عامًّا الذي شفاه يسوع "أَخْرَجَهُ" القادة الدينيون "خَارِجًا" لأنّه تحدّى عدم إيمانهم واعترف صراحةً بإيمانه بيسوع (يوحنا ٩: ٣٤). وعندما حاولَ شاول بعد توبته أن يدخلَ في شركة مع المؤمنين في أورشليم "كَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تَلْمِيزٌ" (أعمال الرسل ٩: ٢٦).

ويمكننا من خلال هذه الأمثلة، تلخيص الرّفْض كما يلي: الرّفْض يفيدُ إيقاف أو قطع التّواصل والاختلاط. مَنْ يرفض الآخرين يحجبُ عنهم الاعتراف بهم وقبولهم داخل مجموعة معيَّنة. ويتم حرمان المرفوض من الامتيازات والتفاعلات الواسعة النطاق مع أفراد آخرين من الأسرة، أو من دائرة الأصدقاء، أو من الكنيسة، أو من المجتمع. وقد يأتي الرّفْض نتيجة عمل ما هو صالح، لكنّه في أحيان كثيرة قد يكون ردّ فعلٍ خاطئٍ وأنايٍ على خطايا وعيوب الآخرين، ومقترنًا بمشاعر الكراهية أو الرّفْض أو الازدراء.

## أسئلة الدّراسة

١. من بين أمثلة الكتاب المقدّس عن الرّفص في هذا الفصل، أيّ منها تشبهك أكثر؟ بما تشبهك؟
٢. اذكر بعض الأشياء التي تعلّمتها عن الرّفص من خلال التأمّل بهذه الأمثلة.
٣. أيّ من الأمثلة الكتابية تعجبك أكثر، ولماذا؟
٤. أيّ من الأمثلة الكتابية لا تريد أن تقتدي بها، ولماذا؟
٥. إذا واجهت الرّفص، فكّر في كتابة قصّتك.
  - أ. ما أكثر ما يؤلمك في رفضك؟
  - ب. ما الذي واجهته ويختلف عن أمثلة الكتاب المقدّس؟
  - ج. ما هي المشاكل المعقّدة التي واجهتها؟ (أيّ أشياء خارج الرّفص ساهمت في زيادة ألم الرّفص أو تعقيده).
٦. إذا لم تواجه الرّفص، فكّر في شخص تعرفه تمّ رفضه. كيف ساهم التأمّل في القصص الكتابية في زيادة فهمك لتجربة هذا الشخص؟
٧. تأمّل في العبارات التالية: الأشرار يرفضون الصّالحين. الصّالحون يرفضون الأشرار. الأشرار يرفضون الأشرار. الصّالحون يرفضون الصّالحين. بحسب تجربتك مع الرّفص، أيّ من هذه تستطيع تمييزها أكثر، و/أو تتصارع معها أكثر؟
٨. اختر أحد أمثلة الكتاب المقدّس الإضافية عن الرّفص المقدّمة قرب نهاية الفصل وادرس هذه الشّخصية. كيف واجه هذا الشّخص الرّفص؟ اكتب قائمة بالملاحظات حول الرّفص انطلاقاً من التجربة التي مرّت بها هذه الشّخصية.



## الفصل ٢

### التَّوَقُّعُ إِلَى التَّوَاصُلِ

لا بدَّ من فهم أَلْمِ الرَّفْضِ ضمن سياق الكيفيَّة التي خلقنا الله بها. قبل أن يكتشفَ آدمُ أَنَّهُ الكائنُ البشري الوحيد على الأرض، أدلى الله ببيانٍ مهمٍّ: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ" (تكوين ٢: ١٨). كان الله يتحدَّثُ تحديداً عن حاجة آدم لحواء -الرجل بالتأكيد يحتاج إلى المرأة- ولكن لبيان الله تداعيات أكبر بكثير. فالبشر يريدون إنشاء روابط مع بشر آخرين بل وإنهم بحاجة إليها.

نحن ننشأ ونكبرُ في كنف عائلة، أو هذا ما قُصِدَ لنا. لكن وفقاً للإحصاءات الحاليَّة، ثلاثة وثلاثون في المائة من الأطفال في الولايات المتَّحدة لا يعيشون مع الأب، وستة وستون في المائة منهم يعيشون مع أحد الوالدين فقط، في مرحلةٍ ما في الأعوام الثمانية عشر الأولى من عمرهم.

وبمجرد أن نكبر، نهتمُّ بالبحث عن أصدقاء. ونسعى إلى الشَّرْكَة، والصَّدَاقَة الحميمة، والرَّفْقة. ونتواصل مع الآخرين من حولنا لتتشارك معاً بتجارب الحياة.

#### روابطنا تساهم في تحديد هويَّتنا.

اسأل أيَّ شخص عن هويَّته، وسوف تسمعُ إجاباتٍ تعكس روابطه. لدينا اسم عائلة، ونعيشُ في مجتمعٍ معيَّن، وننتمي إلى طائفةٍ معيَّنة، وقد توظَّفنا

## ألم الرّفص ونعمة القبول

في الشّرْكة كذا وكذا. لو توجّب عليّ مثلاً أن أعرف بنفسي لقلتُ: "اسمي جون كوبلينتز، واسم زوجتي باربرا. لدينا سبعة أولاد وتسعة أحفاد والعدّ مستمرّ. ونعيشُ في غايز ميلز، في ولاية بنسلفانيا، حيث أعمل قسّاً وأدرّس برامج بناء الإيمان التّعليميّة." إذا نحن نحدّد هويّتنا ليس بمجرد التأمّل بأنفسنا بل بالنظر إلى روابطنا بالنّاس من حولنا.

عندما تتعطلّ علاقاتنا الأساسيّة، لا نصارعُ مع الوحدة فحسب إنّما مع الهويّة أيضاً. وهذا أحد الأسباب التي تجعل الطّلاق يدمّر الأطفال بهذا الشّكل. فزلزال الطّلاق يُحدّث تشقّقات عميقة في هويّتهم. أمّا الأيتام فيتوجّب عليهم ألا يشقّوا طريقهم في بريّة الحزن المليئة بالأشواك فحسب، بل أن يتعاملوا مع التحوّل المُزعزع الإضافي في أعماق روحهم فيما يحاولون التكيّف مع فقدان الانتماء.

هذا هو بُعد التّبنيّ الذي يثيرُ أسئلةً مؤلمةً: مَنْ هم أهليّ؟ مَنْ هم أشقائيّ؟ أين جذوريّ؟ إلى أين أنتميّ؟ هذه الأسئلة متجدّرة بعمق في رغبتنا في معرفة روابطنا. فهذا الاضطراب مؤرّق، سواء كان مؤقتاً أو مستمراً مدى الحياة.

قبل بضع سنوات قرأتُ قصّةً تفطر القلب عن كاثيري، فتاة الشّارع في مدينة نيويورك التي رمّتها أمّها في سلّة مهملات بعد يومين من ولادتها. وبعد إنقاذها، ظلّت على مدى السّنوات القليلة التّالية تنتقل من دار أيتام إلى آخر. وفي النهاية، راحت تجوبُ شوارع مدينة نيويورك بلا مأوى.

وذات يوم، قصّدتُ دار العهد، حيث قدّموا لها طعاماً ومكاناً تبيتُ فيه. وهناك، لاحظَ الموظّفون لاحقاً أنّ كاثيري تحملُ علبة ألوانٍ صغيرة في كلّ مكان تذهب إليه. ومع الوقت، أفصحتُ كاثيري عن سرّ تعلقها بعلبة الألوان لأحد مُشيريها. فقالت: "إنّها أمّي".

شيئاً فشيئاً تكشّفت قصّتها. فقد ترعرعت كاثيري في دور الأيتام، وعندما انتهى بها الأمر في الشّارع، قرّرت أن تبحث عن أمّها. فقادها العنوان الذي أعطِيَ لها

إلى منزلٍ فارغ، لتكتشفَ في ما بعد أنَّ والدتها تحتضر في المستشفى بسبب إصابتها بالإيدز.

توجَّهت كاثي لرؤية والدتها، وقد عبَّرت عن تفاصيل اللقاء بها بكلماتها الخاصة، إذ قالت: "ذهبتُ إلى المستشفى، وقابلتها قبل وفاتها بيوم واحد. وأخبرتني أمِّي أنَّها تحبُّني." كانت تحكي لمشيرها والدُموع تنهمرُ على خديها وتقول: "أخبرتني أنَّها تحبُّني."

وبعد وفاة والدتها، ذهبتُ كاثي إلى الجنازة وطلبتُ رماد والدتها.

ناولتُ كاثي مشيرها العلبة ليراها، فوجدَ عليها ملصقاً صغيراً يحمل اسم والدتها وتاريخ ميلادها وتاريخ وفاتها.<sup>١</sup>

كم نسعى يائسين في سبيل الرُّوابط!

### روابطنا تمكِّننا من العيش واختبار الحياة بأبعاد أغنى.

أفادَ تقريرٌ عن نتائج دراسة صادرة عن مبادرة الأبوَّة الوطنيَّة أن: "الأطفال الذين يعيشون بعيداً عن والدهم البيولوجي هم في المتوسط، عرضة للفقر، وإدمان المخدرات، ومواجهة مشاكل تعليميَّة وصحيَّة وعاطفيَّة وسلوكيَّة ثلاث مرَّات أكثر من أقرانهم الذين يعيشون مع آباء بيولوجيين (أو بالتبني) متزوَّجين."

تخوِّنا العلاقات السليمة أن نعيش حياةً طبيعيَّة، في حين أنَّ العلاقات غير السليمة تجعل الواجبات وتفاعلات الحياة الطبيعيَّة أصعب. تؤيِّد العديد من الدراسات الأخرى هذه الاستنتاجات. لذلك عندما نقرأ عن رعاية الله الخاصة للأيتام والأرامل، نلاحظ أنَّ الله لا يكتفي بمجرد مواساتهم في حزنهم، لكنَّه يمنحهم أيضاً القدرة على العيش. نقرأ: "اللَّهُ مُسَكِّنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ" (مزمور ٦٨: ٦) لأنَّهم يحتاجون إلى أشخاص آخرين كي تسيِّر أمورهم على خير ما يُرام.

١ رافي زكارايوس، صرخات القلب، دار منهل الحياة، ٢٠١١.

## ألم الرِّفض ونعمة القَبول

فكرنا يعملُ بشكلٍ أفضل عندما يتواجدُ في حياتنا أشخاصٌ تتفاعلُ معهم. وعملنا نوُدِيه بشكلٍ أفضل عندما نكون في انسجامٍ مع الآخرين، وهذا بالتأكيد يشعُرنا بتحصُّنٍ أكبر.

لطالما سمعنا مقولةً قديمةً تقول: "مشاركةُ الآخر حزنه، تخفُّفُ نصفِ حمله". في أحيانٍ كثيرة، يشهد أولئك الذين عانوا خسارةً أو دماراً أو انفصلاً أو آلاماً أخرى عن التَّعزية التي شعروا بها بسبب وجود أصدقاء يهتمون في مثل هذه الأوقات.

كنتُ في السادسة عشر من عمري حين توفِّي والدي فجأةً. أذكرُ شعورِ البلاهة الذي ساورني بسبب عدم الفهم. هل هذا حقيقي؟ هل حقاً أصبحتُ بلا أب؟ كيف يجعلني هذا مختلفاً عن الآخرين؟ وفي أثناء الجنازة، رأيتُ الأصدقاء والأقارب يبيكون، لكنني شعرتُ أنني منفصل عنهم عاطفياً.

ثم وصلت مجموعة شباب كنيستي، واجتمعوا في آخر الغرفة للترنيم، كما كان يملي عليهم تقليد الكنيسة المينوناتية التي نشأت فيها. وحينئذٍ انهار كلُّ ما بداخلي، وبكيتُ كطفل. فقد ساعدني وجود أصدقاء عطوفين على التَّعبير عن الأسى، وصحيح أنه دفعني للتَّواجه مع واقع الألم والخسارة، لكنني تعزيت. فقد تضاءل تأثير حدة حقيقة الموت بمجرد معرفة أن هؤلاء المقرَّبين مني كانوا إلى جانبي.

ينطبقُ المبدأ نفسه على أفراننا. نحن لا نبلغُ قِمةً سعادتنا ما لم نشارك بها شخصاً آخر. وأشار مفسِّرون مختلفون إلى أن الفرح المنعكس في المزامير هو فرحٌ مُشارك. عندما عبَّر كتاب الترانيم قديماً عن فرح الرَّب أي روعة الوجود في ظلِّ حماية الله، ومجد التحرُّر من خلال قوَّة الله الرَّهيبة، وأمان قيادته، بلغ فرحهم ذروته. نحن نحبُّ أن نعيش الأمور السارة ونسمع بها ونراها، وفي حال اختبارناها، بالكاد نستطيع أن ننتظر لنخبر بها أصدقاءنا.

نشعر بالوحدة ليس فقط عندما نواجه المشاكل بمفردنا، ولكن أيضاً عندما نخبر الفرح وحدنا. نحن بحاجة إلى روابط لنستمتع بالحياة كما يجب. فقد

صَمَّمْنَا اللَّهَ كَيْ نَتَفَاعَلَ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَنَتَشَارَكَ الْحَيَاةَ مَعَ زَمَلَانِنَا الْبَشَرِ، وَنُضْحِكُ وَنُبْكِي مَعًا، وَنَعِيشُ بِتَوَاصُلِ الْقَلْبِ بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ.

### الرَّفْضُ يَعْطَلُ إِنْشَاءَ الرِّوَابِطِ.

كُلُّ هَذِهِ الرِّوَابِطِ بِجُذُورِنَا يَقْطَعُهَا الرَّفْضُ. عِنْدَمَا نُطْرِدُ مِنْ حَيَاةِ الْآخَرِينَ، وَتَحْدِيدًا إِذَا تَمَّ اسْتِبْعَادُنَا مِنْ حَيَاةِ أَشْخَاصٍ كَانَتْ تَجْمَعُنَا بِهِمْ رَوَابِطُ أُسَاسِيَّةٍ مِثْلَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، وَالْأَصْدِقَاءِ، وَالْإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ، نَشْعُرُ بِأَنَّنا فِي قَمَّةِ الْحَزْنِ. فَهِنَاكَ شَرَايِينُ رِئِيسِيَّةٍ فِي كَيَانِنَا تَتَقَطَّعُ.

مَنْ يَسْتَطِيعُ وَصْفَ آلامِ الْخِيَانَةِ الزَّوْجِيَّةِ الْحَارِقَةِ؟ أَوْ الْحَزْنَ الْعَمِيقِ عَلَى مَغَادِرَةِ الْإِبْنِ أَوْ الْإِبْنَةِ الْمَنْزِلِ بِغَضَبٍ؟ أَوْ أَلَمِ انْقِلَابِ صَدِيقِكَ ضِدَّكَ؟ أَوْ دِمَارِ الرُّوحِ جَرَاءَ الطَّلَاقِ؟ أَوْ الْحَزْنَ وَالْإِرْتِبَاكَ بِسَبَبِ انْقِسَامِ الْكَنِيسَةِ؟ أَوْ الْإِحْبَاطَ وَالْحَزْنَ عِنْدَ رَفْضِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ حُضُورَ الْمُنَاسَبَاتِ الْعَائِلِيَّةِ مَعًا؟ إِنَّنَا نُجْرَحُ فِي صَمِيمِ وَجُودِنَا، وَيَتَمَرِّقُ نَسِيجَ حَيَاتِنَا الْاجْتِمَاعِيِّ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، نَسْمَعُ تَعْلِيْقَاتٍ مِثْلَ:

"لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَصَدِّقَ أَنَّ هَذَا يَحْدُثُ لِعَائِلَتِنَا."

"أَشْعُرُ كَمَا نُوْثِقُ ذِرَاعَهُ."

"يَبْدُو وَكَأَنَّ أَحْشَائِي تَتَمَرِّقُ."

"أَفْضَلُ الْمَوْتِ عَلَى الْمَرُورِ بِهَذَا."

"هِنَاكَ جِرْحٌ عَمِيقٌ فِي صَدْرِي."

فِي الثَّقَافَةِ الْغَرِيبَةِ الْيَوْمِ، لَيْسَ الْأَلَمُ الْأَكْثَرُ شِيوعًا وَالْأَشَدُّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَوَلِيدَ الطَّرُوفِ الْقَاسِيَةِ، بَلْ وَوَلِيدَ الْعِلَاقَاتِ الْمَمَرِّقَةِ. كَمَا يَقُولُ رَاقِي زَاكَارَايُوسَ: "فِي عَصْرِ وُجِدَتْ فِيهِ وَسَائِلُ الرَّاحَةِ لِتَوْفِيرِ الْوَقْتِ، نَحْنُ نَصْرَفُ فِي الْوَاقِعِ وَقْتًا أَقَلَّ

## ألم الرّفص ونعمة القبول

في بناء العلاقات، بينما نستثمرُ المزيد منه في استخدام وسائل الراحة تلك... وعلى الرغم من كلِّ ما أحرزناه من تقدّم، لم يسبقُ لجيلٍ أن اجترع كمّ مضادّات الحموضة ومضادات الاكتئاب في محاولةٍ يائسةٍ لتهديئة النفوس المضطربة، وواضعًا ضمادات للمفاصل المخلّعة"<sup>٢</sup>.

إنّ وباء محبّة الذات المعدي أفرزَ عدوى الرّفص. وليس الألم المبرح هو المشكلة، فهو مجرد عَرَضٍ صارخ. وتسكين الألم لا يداوي العلاقات.

### أسئلة الدّراسة

١. صِف مستوى الرّوابط التي جمعتك بوالدك، ووالدتك، وأشقائك.
٢. عبّر قصّة كاثي عن الجوع لإنشاء الرّوابط. هل لك أن تصف أوقاتًا في حياتك بذلت خلالها بشكلٍ خاصٍّ جهودًا لإشباع جوعك لإنشاء الرّوابط؟ بالنظر إلى الماضي، كيف تشعرُ حيال تلك الجهود الآن؟ (أي، ما هي الأفكار والمشاعر التي تراودك الآن بينما تفكّر في محاولاتك السّابقة لإنشاء روابط؟)
٣. أيمكنك التعرّف على مجالات فشلتَ فيها في حياتك بسبب شعورك بأنك منفصل عن الآخرين؟ (على سبيل المثال، في الدراسة، أو الإدارة الماليّة، أو الصّداقة، وإلخ).
٤. ضع قائمة ببعض الأحران التي اختبرتها والتي وجدت صعوبة في مشاركتها مع آخرين. لماذا في رأيك وجدت صعوبة في مشاركة هذه التّجارب مع آخرين؟
٥. صِف المشاعر التي اختبرتها (أو تختبرها) عند رفضك، بأوضح طريقة ممكنة. انظر إلى قائمة المشاعر التّالية:

٢ راڤي زكارايوس

|                  |                    |               |
|------------------|--------------------|---------------|
| الاستياء         | الألم              | الصَّدمة      |
| الغضب            | الكرب              | عدم التَّصديق |
| الرغبة بالانتقام | الحنق              | الخدر         |
| المرارة          | الغمّ              | الخوف         |
| الدَّمار         | الحزن              | الرَّيب       |
| الحيرة           | الفراغ             | الوحدة        |
| الإحباط          | عدم الشعور بالقيمة | الانسحاق      |
| الشعور بالخطر    | اللَّهفة           | العزلة        |

٦. صِفِ العلاقة التي ساعدتك في تجربتك للرفض، وأخبرنا كيف ساعدتك.
٧. أعتقد أن بعض أنواع الروابط والعلاقات التي يتم إنشاؤها في وقت الرفض قد تكون غير سليمة، وإن كان الأمر كذلك، كيف؟



## الفصل ٣

### ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

يقولُ أحد القساوسة معلّقاً على أهمّيّة المواقف الصّحيحة: "تمثّل الأحداث التي نقابلها عشرة في المائة من مجمل الحياة، بينما تُمثّل كَيْفِيَّة تجاوبنا مع تلك الأحداث التّسعين في المائة الباقية."<sup>1</sup> قد نعتزُّ على هذه النّسب المئويّة، ولكن لو راجعنا أمثلة الكتاب المقدّس في الفصل الأوّل، لا بدّ أن نستنتج أنّ ردود أفعالنا تبدو أهمّ من ظروفنا في عمليّة تشكيل هويّتنا.

بعبارة أخرى، لم يكن الفرق بين داود وشاول أنّ داود كانت ظروفه أفضل، بل أنّه تعامل مع ظروفه بشكل أفضل. لننظرُ إلى الفرق بين يوسف وإخوته. سواء كان إخوة يوسف محقّين أو مخطئين، فإنهم شعروا بالرّفص بسبب تفضيل أبيهم ليوسف، وبالتالي قاموا هم برفض يوسف. وصحيحٌ أنّ المشاكل التي واجهها يوسف نتيجةً لذلك كانت أسوأ من أيّ ظرف مرّ به إخوته على الإطلاق، إلاّ أنّها جعلت من يوسف رجلاً أفضل منهم جميعاً. وقد استطاعت الظروف الأسوأ، أن تصنّع رجلاً أفضل، لأنّ يوسف استجاب لها بشكلٍ أنبل ممّا فعل إخوته.

أصبح بديهياً لنا الآن أنّ الرّفص يقترن بمشاعر عميقة. فنحن نتألّم عندما يتمّ التخلّي عنّا أو إقصاؤنا عمدًا، لا سيّما إن كانت تجمّعنا بالرّافضين روابط اجتماعيّة أساسيّة، مثل عائلتنا، أو أصدقائنا المقربّين، أو كنيستنا.

1 Charles Swindoll, *Strengthening Your Grip*, (Key Word Books, Waco, TX, 1982), p. 206.

## ألم الرِّفْض ونعمة القَبُول

تختلفُ مشاعر الرِّفْض باختلاف الظروف، واختلاف شخصيَّة المرفوض وطَبْعِه. في هذا الفصل، سوف نتأمَّل بأربعة مشاعر نموذجيَّة قويَّة تظهرُ عندما نواجهُ الرِّفْض وهي: الغضب، والخوف، والوحدة، والقُصور. ربَّما من الأفضل أن نسمِّيها فئات المشاعر أو مجموعات المشاعر، بسبب اختلافاتها ودرجات حدِّتها. سننظرُ في كلِّ فئة على حِدَة، لكنَّ هذا لا ينفي أنَّها تتداخلُ جدًّا في التَّجربة العمليَّة.

إنَّ المشاعر القويَّة المقترنة بالرِّفْض، قد تتحوَّل، كسائر العواطف القويَّة، إلى قوَّة دافعة في حياة الإنسان، وتدفعُ النَّاسَ إلى الاستجابة بطرقٍ معيَّنة. في الرِّسْم البياني التَّالي، سوف نستكشفُ كلَّ عاطفة، ونستخدمُ أمثلةً من الكتاب المقدَّس تُساعدنا على رؤية الاستجابات ضمن تفاصيل الحياة الواقعيَّة.

### الاستجابات للرِّفْض

| المثل الكتابي     | الاستجابة | الشُّعور |
|-------------------|-----------|----------|
| أبشالوم           | تمردُّ    | غضب      |
| شاول              | تسلُّط    | خوف      |
| المرأة السامريَّة | إفراط     | وحدة     |
| عيسو              | أداء      | قصور     |

### ١. الشُّعور بالغضب ومسارُ التمرد.

كانَ أبشالوم ابنَ داود اللَّامع، والموهوب، والوسيم. لكن كي نفهمَ سبب اتِّخاذه مسار التمرد، لا بدُّ من العودة سبع سنواتٍ إلى الوراء. كان لأبشالوم أختٌ جميلة تُدعى ثامار. وكان أخوهما غير الشَّقيق أمنون مريضاً "بحبِّ" ثامار، فوضَعَ هذا الأخيرُ خطَّةً للإيقاع بها. وساعة تنفيذ تلك الخطَّة الرهيبة، انتقلتُ من كونها ابنة الملك المرغوب بها، والمؤهَّلة لزواجٍ ملكيٍّ، لتصبح منبوذةً ومهجورة.

ردودُ فعلٍ خاطئةٍ تجاه الرِّقَص

فما من ملكٍ سيرغبُ بالزَّواجِ من امرأةٍ مُغتصبةٍ، والرَّجلُ العادي الَّذي لا يتمتَّعُ بمكانةٍ اجتماعيَّةٍ، لا يستطيعُ أن يتزوَّجها حتَّى لو رَغِبَ بذلك، ما جعل أبشالوم يستشيط غضبًا.

لم ينفُسُ أبشالوم عن غضبه على الفور، بل وضعه في قلبه لمدَّة سنتين إلى أن جاءَ الوقتُ المناسبُ. فأقامَ مهرجانًا لجزِّ الأغنام خارجَ المدينة، ودعا إليه جميعُ أبناءِ الملك. وإذ "طابَ قلبُ أَمْنُونَ بِالْحَمْرِ"، باغتَهُ أبشالوم وقتله. (وقد تمَّ تسجيلُ هذه الخطيئة الرَّهيبة للأُسرة في ٢ صموئيل ١٣).

هرب أبشالوم من البلاد. وعاشَ مدَّة ثلاث سنواتٍ في منفى فَرَضَهُ على نفسه في جَشورٍ بينما كان والده داودُ يبكي محاولاً تجاوزَ حزنه. صحيحٌ أن أَمْنُون كان معتدياً جنسيًّا، إلاَّ أنَّه ظلَّ ابنُ داودِ البكر. وفي ثقافةٍ تقدَّسُ النسل، والميراث، والسُّلال العائليَّة، كان يُعدُّ موتُ الابنِ البكرَ مأساةً.

اهتزَّ كيانُ داودِ بعمقٍ بسببِ جميعِ هذه المشاكلِ العائليَّةِ الفظيعة. لكنَّنا لا نقرأُ في أيِّ مكانٍ عن استغلاله المآسي للتعقُّبِ من أولاده. كان داودُ غاضبًا، وحزينًا، ومكتئبًا، لكنَّه لم يحركْ ساكنًا.

وبعد ثلاث سنواتٍ، "كَانَ دَاوُدُ يَتَوَقَّعُ إِلَى الخُرُوجِ إِلَى أبشالوم" (٢ صموئيل ١٣: ٣٩)، وحتَّى في هذا، لم يبادرِ إلى فعلِ شيءٍ. عندما "عَلِمَ يُوأَبُ... أَنَّ قلبَ الْمَلِكِ عَلَى أبشالوم" (٢ صموئيل ١٤: ١)، رَبَّتْ أن تزوره امرأةٌ وتقنعه بإعادة أبشالوم إلى أورشليم. استجابَ داودُ لطلبها، ولكن بشرطٍ أن: "يَنصَرِفَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا يَرِ وَجْهِي" (٢ صموئيل ١٤: ٢٤).

لعلَّ هذا مثالٌ على مقاومة الرِّجالِ الرِّابطِ العاطفي. كان داودُ يشناق إلى ابنه، لكنَّه قسَى قلبه. وما يزال الرِّجالُ إلى اليومِ يخافون في أحيانٍ كثيرةٍ أن ترقَّ مشاعرهم، ويتوانون عن إظهار الجانبِ الحنونِ الَّذي بداخلهم، لا سيَّما بحضورِ رجالٍ آخرين. لكنَّ قساوةَ داودِ كلَّفته غاليًا.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

شعرَ أبشالوم لمدّة سنتين كاملتين بفتور أبيه البعيد عنه عاطفيًا. لا شكَّ أنّه كان مذنبًا بشعوره بالمرارة تجاه شقيقه الشّهواني وأخذه بالثأر، ولا يمكننا أن نلتمس له الأعذار على ما ارتكبه من خطايا. إنّما عامان من رفض والده له لم يكسرا قلبه فحسب بل جعلاه يتقسّى.

استجابَ أبشالوم لبرودة أبيه العاطفيّة من خلال الغضب. وفي النّهاية، استدعى يوّاب، ولكنّه لم يلبّ دعوته. بعثَ برسالةٍ أخرى، إنّما لم يتلقَ جوابًا. ولكن عندما أضرمَ النيران بحقول يوّاب، همّ هذا الأخير بسرعة البرق لرؤيته. لاحظ مدى غضب وحرقة أبشالوم من والده عند حديثه مع يوّاب؛ فقد قال: "لَمَآذَا جِئْتُ مِنْ جَشُورٍ؟ خَيْرٌ لِي لَوْ كُنْتُ بَاقِيًا هُنَاكَ. فَالآنَ إِنِّي أَرَى وَجَهَ الْمَلِكِ، وَإِنْ وَجِدَ فِيَّ إِثْمٌ فَلْيَقْتُلْنِي" (٢ صموئيل ١٤: ٣٢).

إنّ طلبَ أبشالوم القاسي أتاحَ له الاجتماع بالملك، لكنّه لم يهدئ من روعه. فالمرارة كانت قد كوّت قلبه ودفعته في مسار التمرد. لذا حسم أمره، وقرّر أن يستحوذ على المملكة.

لو أمعنا النظر بأبشالوم الماضي في مسار التمرد، لأدركنا أنّ ما يحرك التمرد هو الغضب، الذي ظهر كردّ فعلٍ على الرّفص.

- ❖ خرجَ أبشالوم عن السُّلطة. ووجد متعةً منحرفةً في رفض مبادرات داود، بعد أن رفضَ هذا الأخير أن يراه.
- ❖ اتخذَ موقف "سأريك". حسمَ أبشالوم أمره للبدء بالمشروع السريّ والطموح في آن، وهو إزاحة والده عن العرش.
- ❖ كان على استعدادٍ للمجازفة حتّى بحياته. تستحقُّ خيانة أبشالوم عقوبة الإعدام؛ فقد كان على استعدادٍ لشنّ حربٍ ضدّ أفضل قوّات والده.
- ❖ بنى صداقات تنمّي العداء ضدّ والديه. جلسَ أبشالوم عند باب المدينة وصادقَ المظلومين، وأعدّهم ليؤيّدوه في الصّراع القادم.

ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

❖ أَحَبَّ السُّلْطَةَ. اجْتَذَبَ أَبْشَالُومَ قُلُوبَ أَعْلَى الْمَسْؤُولِينَ وَحَسَدَ جِيْشًا هَائِلًا.

❖ وَجَدَ صَعُوبَةً فِي الْأَخْذِ بِالنَّصِيحَةِ. فَقَدْ كَانَ يَصْغِي إِلَى النَّصِيحَةِ الَّتِي تَرْضِي غُرُورَهُ، وَيَرْفُضُ نَصِيحَةَ الرَّجُلِ الْأَكْثَرِ دَرَايَةَ بِالْمَوْأَمَرَةِ (انظر ٢صموئيل ١٦: ١٥ - ١٧: ١٤).

❖ شَغَلَتْهُ صُورَتُهُ. فَقَدْ اسْتَعْرَضَ أَبْشَالُومَ قُوَّتَهُ بِاسْتِحْوَاذِهِ عَلَى سِرَارِي أَبِيهِ (٢صموئيل ١٦: ٢١، ٢٢)؛ كَمَا أَقَامَ أَيْضًا نَصْبًا تَذْكَارِيًّا لِتَخْلِيدِ اسْمِهِ (٢صموئيل ١٨: ١٨).

إنّ الكثير من الشباب اليوم، الغاضبين من الفجوة في علاقتهم مع والديهم، سلكوا مسار التمرد!

قد نتفهم مشاعر الغضب الناتجة عن الرّفص، لكنّها خطيرة. وكلّما طالت مدّة اشتعالها في القلب، ازدادَ خطر أن تصبح القوّة الدّافعة في حياة الشّخص.

جديرٌ بالملاحظة أنّ النّاس قد يتمرّدون لأسباب أخرى غير الرّفص. ثمّ ليس كلّ تمرد علنيًا كما هو الحال مع أبشالوم. فقد يعتمد البعض الأسلوب الخفي في مقاومتهم السُّلْطَةَ، وقد يلجؤون للصّمت، ويبدون غير متعاونين، أو حتى سلبيين في ردودهم على السُّلْطَةَ. حتى إنّهم قد يخدعون أنفسهم بالتّفكير أنّ الأمر لا يزعجهم. لكنّ الغضب المخفيّ يستمرّ بالغيان ويدفعهم إلى إبداء ردود فعل غير سليمة ومقاومة السُّلْطَةَ الأعلى منهم.

## ٢. الشعور بالخوف ومسار التسلُّط.

إنّ إدراك شاول بأنّ الله سيأخذ منه المُلْكَ ويعطيه لآخر، سرعان ما ارتبطَ بواقع أنّ داود كان محاربًا وقائدًا فريدًا. بعد انتصار داود المذهل على جليات وإشادة جمهور النّساء به علنًا (١صموئيل ١٧)، نقرأ في الفصل التّالي ثلاث مرات أنّ شاول كان يخاف داود.

## ألم الرّفْض ونعمة القَبول

- ❖ "وَكَانَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ لِأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ وَقَدْ فَارَقَ شَاوُلُ" (١٨: ١٢).
- ❖ "فَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ أَنَّهُ (داود) مُفْلِحٌ جِدًّا فَزَعَ مِنْهُ" (الآية ١٥).
- ❖ "وَعَادَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ بَعْدُ، وَصَارَ شَاوُلُ عَدُوًّا لِدَاوُدَ كُلِّ الْيَّامِ" (الآية ٢٩).

لا نعرفُ كلَّ ما كان شاول يخافه، لكن واضحٌ أنه كان يخافُ داود منافسًا. لربّما خافَ أن يفقدَ الشَّرَفَ والمركزَ، وأن ينتقلَ الدَّعمَ الشعبي منه إلى شخصٍ آخر. وربما خافَ أن يناقشَ النَّاسُ إخفاقاته، وينسوا نجاحاته، وينقلبوا عليه. وبما أنّهم كانوا يركّزون جدًّا على سلسلة النسب، لربما خافَ على سلامة عائلته. مهما كانت مخاوف شاول، فإنَّ الخوفَ كان قد أصبحَ في حياته قوَّةً قهريَّةً، وقادَهُ في مسار التسلُّط.

وبمجرّد أن يصبحَ الخوفُ محرِّكًا، فإنَّه يشكِّلُ خطرًا على أيِّ شخصٍ يعاني الرّفْضَ، وواضحٌ أنّ القادة المرفوضين معرّضون بشكلٍ خاصٍّ إلى أن يتملّكهم الخوفُ ويلجؤوا إلى استخدام تكتيكات التسلُّط، وذلك لأنَّهم متورطون بالفعل إلى حدٍّ ما في ممارسة التسلُّط. إنّ جزءًا من مسؤوليَّة القائد له علاقة بالتسلُّط أي الحفاظ على سير الأمور بسلاسة، وكبح نزعات الانفلات، ودعم القضايا النبيلة، وضمان اتِّخاذ قرارات المجموعة في الوقت المناسب وتنفيذها بالشَّكل الصَّحيح. ولكن عندما تصبح الأمور شخصيَّة - كما هو الحال في الرّفْض - يُجربُ القائد بشدَّة بأن يستخدم منصبه ونفوذه ليحمي نفسه.

اعتقد شاول أنّ داود يشكِّلُ تهديدًا وطنيًّا، لذا حاول إجبار الآخرين على اعتباره كذلك أيضًا. وراح يستخدم الموارد الوطنيَّة لتنفيذ جدول أعماله الشخصي.

بالتأمّل بقصَّة شاول، يمكننا أن نرى كيف يتصرّف من يسيِّره الخوف:

- ❖ يبدأ بتصنيف النَّاس ما بين "مؤيِّد" أو "معارض" له.

ردودُ فعلٍ خاطئةٍ تجاه الرِّفْضِ

❖ يعدُّ خطئاً لضبط مَنْ يشكُّ أنَّه يُعارضه (أو يجعل جدول أعماله الشخصيَّ مرتبطاً بقرارات الآخرين أو خطتهم).

❖ يضغط على النَّاسِ عبر الرِّشاوى أو التَّهديدات لدفعهم إلى دعم مخططاته. وقد يُخفي ترهيبه وراء دوافع حسنة ظاهرياً. وبمجرد أن يخسر الدَّعم، يتحوَّل ضدَّ مؤيديه، ثمَّ يتَّهمهم بالتحوُّل ضدَّه.

❖ يتلاعب بالأدلة. ويروي الأحداث بشكلٍ يعزِّز ذاته ويحميها ويسحقُ خصومه.

❖ يوجِّه اللُّوم. وإذا أخطأ، يتَّهم الآخرين. وإذا فعل الخصم الصَّواب، ينسب إليه دوافع تجعله يبدو مخطئاً.

❖ يرثي، وحتى يبكي، لجعل الآخرين يشفقون عليه ويتعاونون معه.

❖ إنَّه دفاعي. ولا يجرؤ أحد على الإشارة إلى عيب فيه، وإلاَّ صنَّفه بأنَّه "معارض".

❖ كونه رمزاً للسلطة، إنَّه يستخدم منصبه، وسلطته، وموارده لدعم جدول أعماله الشخصيِّ.

❖ لا يعتذر إلاَّ عندما "تجبره" الظروف، ويفعل ذلك بشكلٍ يعزِّز قضيتته. ونرى أنَّ الكتاب يسجِّل عن شاول وداود أكثر من أية شخصيَّة كتابيَّة أخرى قولهم: "لقد أخطأت". قالها داود بإخلاص وخضع لتأديب الله وتطهيره، بينما استمرَّ شاول يجري في مسار العناد.

❖ مزاجه السيِّئ يستترُّ خلف حجة الدِّفاع عمَّا هو حقُّ.

كما نرى في حياة شاول، إنَّ المرفوض متى ملأه الخوف، يصبح مناوئاً من الدَّرَجَة الأولى. وهناك ألف طريقة وطريقة لإجبار الآخرين على إبداء الاهتمام، أو تقديم الدَّعم، أو التعاون، ويبدو أنَّ الشخص الخائف تعلَّمها جميعها. وكلِّما

## ألم الرّفص ونعمة القبول

تسلّط على الآخرين، قلّ شعوره بالأمان. وكلّما فعل صديق شيئاً تحت الضّغط، بدأ أقلّ طوعيّة واحتاج إلى المزيد من الضّغط على الأرجح للاستمرار في العمل. إنّها حلقة مفرغة، وليس فيها فائز.

### ٣. الشّعور بالوحدة ومسار الإفراط.

في أحد المشاهد الأكثر تأثيراً في العهد الجديد، استخدم يسوع محادثةً حول العطش للكشف عن قلب امرأة. كان لهذه السيدة خمسة أزواج في الماضي، والرّجل الذي كانت تعيش معه لم يكن زوجها.

وحدهم منْ اختبروا الانفصال أو الطلاق قادرون على فهم المشهد العاطفي الخاصّ بهذه المرأة، يبدو أنّها كانت تملك نوعاً من الجاذبيّة حتّى تستطيع اجتذاب هذا العدد من الرّجال إليها، ولكن هذا النوع لم يكن يبقي هؤلاء أمماء لها.

لم يتمّ إبلاغنا إن كانت قد اجتازت بخمس عمليّات انفصال، أم مات بعض أزواجها. وإن كانت هي سبب هذه الانفصالات أم لا، إنّها بالتأكيد اختبرت الرّفص من الدّاخل والخارج. على أية حال، إنّ توالي الرجال في حياتها كان يعدّ أمراً شخصياً بالنّسبة إليها، ولربّما ثرثر الآخرون عنه، ولكنهم لم يتكلّموا عنه معها بحريّة.

أولاً طلبَ منها يسوع أن يشرب. ثمّ تحدّث بشكل غير متوقّع عن الماء الذي سيروي عطشها إلى الأبد. فصدّقت كلّ ما قاله حرفياً، وقالت: "أعطني هذا الماء!"

ثمّ بدأ أن يسوع غير الموضوع، إذ قال لها: "أذهبِي وادّعي زوجك."

يمكننا تخيّل مدى الارتباك والحذر الباديّين على وجهها عند قولها: "ليس لي زوج".

ولا بدّ أن تعليق يسوع التّالي كان مليئاً بالتعاطف والتفهم وإلا وضع حدّاً للمحادثة. فقد قال: "حسنًا قلتِ ليس لي زوج لأنّه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلتِ بالصدّق" (انظر يوحنا ٤: ١٧، ١٨).

ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

وهمست: "أرى أنّك نبيّ!". يستحيل على يهودي غريب أن يعرف عنها هذه المعلومات، ولا يمكن لأيّ رجل عادي أن يصف بتلك الدقّة ذلك الفراغ الهائل في حياتها، أو أن يملأه بالطريقة التي ملأه بها هذا الرّجل.

فبعد قراءة قصّة كهذه، لن نهتمّ بقراءة المزيد. إنّ الناس في أيّامنا يمارسون فرديةً في اتّخاذ قرارات مثل الرّواج أكثر ممّا كانوا يفعلون في أيّام يسوع. فتختلف امرأة أميركيّة في القرن الحادي والعشرين لها خمسة أزواج، عن المرأة السّامريّة في القرن الأوّل. فقد كان الرّواج في تلك الأيام، يُدبّر دون مراعاة لتفضيلات الإنسان أو اختياراته الشّخصيّة، خاصّة النّساء. ولربّما كانت هذه المرأة ضحيّة تلك الرّيجات السيّئة أكثر من كونها مثالاً عن نمط الحياة المنحلة.

لم يُخبرنا النّصّ عن حياتها قبل زيجاتها الخمسة، ولا عن حال تلك الرّيجات. لكن ما نعرفه هو أنّها عندما التقت يسوع كانت "عطشى". ومن الآمن افتراض أنّ عطش روحها كان مرتبطاً مباشرةً بزيجاتها المتتالية، لأنّ يسوع انتقل مباشرةً من الحديث عن عطشها إلى الحديث عن سجلّ زواجها. وقد يبدو من المنطقي أيضاً استنتاج أنّ هذه المرأة اختبرت الرّفص، وربما الرّفص المتكرّر، وأنّ الطّريقة التي حاولت بها إرواء عطشها كانت تزيدها عطشاً.

للأسف إنّ الدخول في علاقات زوجيّة (أو المساكنة) متعدّدة يزداد شيوعاً في الثّقافة الغربيّة. فنحن نلاحظ بانتظام جوع النّاس الجامح للعلاقات الذي يدفعهم إلى الدّخول والخروج من علاقة تلو الأخرى. وغالباً ما يأتي هذا النمط المأساوي نتيجة إدخال الفراغ الشّديد إلى العلاقة الزوجيّة. فالأطفال الذين يعانون التوق الشّديد للأب أو الأم، يميلون بسهولة لأن يصبحوا بالغين ينتقلون من شريك إلى آخر. والسّعي الدؤوب في سبيل إنشاء علاقة مع الجنس الآخر يعكس وجود ثغرة علاقيّة، لم يتمّ ملؤها قطّ بالشّكل الصّحيح خلال سنوات التنشئة.

صحيح أنّ ملف التعريف التّالي لا يعرض كافّة تفاصيل حياة المرأة السامريّة، لكنّه يصف شخصاً ينمو فارغاً علاقيّاً، وبالتالي يحركه شعورٌ بالوحدة.

## ألم الرِّفْض ونعمة القُبُول

- ❖ إنَّها مضطربة. الحياة لا تُروى عطشها أبداً، وتنتقل من تعلقٍ إلى آخر.
- ❖ الزَّواج بالنسبة إليها يقوم على ملء الفراغ أكثر ممَّا يقوم على الحبِّ والعلاقة الحقيقيَّة.
- ❖ العلاقات لا تتعمَّق. فالحفاظ على علاقةٍ سطحيَّة يقلُّ من احتمال التعرُّض للمزيد من الرِّفْض. والمثير للسخرية أنَّ هذا دائماً يزيد العطش ويؤدِّي إلى المزيد من الرِّفْض.
- ❖ إنَّها تسعى لتروي ظمأ الرُّوح بشكلٍ سطحي. فبالنسبة إلى المرأة السامريَّة، كانت تسعى لتروي عطشها عبر الرِّجال. بينما قد يسعى آخرون ليرووا عطشهم عبر إدمان الكحول، أو حياة الحفلات، أو المخدِّرات، أو الجنس، أو المال، أو الممتلكات، أو الإثارة، أو أشياء أخرى لا تُحصى ولا تُعدّ، أملاً بملء أشواق الرُّوح. لكنَّ هذا يزيدهم خواءً وعطشاً على مرِّ السنين.
- ❖ إنَّ مساعيها تتحكَّم بها. فمن يعيش في الفراغ يكون عرضة للإدمان. وقد تكره ما تفعله، لكنَّها لا تزال تسعى وراء الارتواء الكامل الذي لا تدركه أبداً.
- ❖ إنَّها تنتقل من علاقةٍ إلى أخرى. قد يسعى الشَّخص الذي يشعر بالوحدة إلى إقامة علاقةٍ جنسيَّةٍ لإثبات جدارته كإنسان، ولكن يفوته أنَّها تعبيرٌ عن الالتزام في العلاقة.
- ❖ إنَّها غير ملتزمة. فالشَّخص الذي يجلب الفراغ إلى الزَّواج، غالباً ما يكون ملتزماً بتلبية احتياجاته الخاصَّة، ولا يسعى للعيش في سبيل الآخرين.
- ❖ إنَّها غير منضبطة. فالأرق المستمرُّ يمنعها من تطوير الشَّخصيَّة اللّازمة لتنظيم حياتها.

إنَّ السَّعي الحثيث لملء فراغ القلب هو دوامة عاطفيَّة. وفي العادة، يكتشف الشَّخص في مرحلةٍ ما أنَّه مهما استخدم من أشياء لملء الفراغ، فإنَّها لا تنجح.

ردودُ فعلٍ خاطئة تجاه الرُّفض

ومع حلول الوقت الذي تكلم فيه يسوع مع المرأة عند البئر، اكتشفت أن الرجال لا يروون عطشها، وكان قد وصل بها الأمر حتى لاحتقارهم. وكانت على الأرجح لا تعرف إلى أين تتجه أيضًا إلى أن قابلت يسوع! لو كانت قد قابلت يسوع عندما كانت لا تزال مع زوجها الأول لكانت وفّرت على نفسها الكثير من الحزن، لكنّها ما كانت لتدرك عطشها، أو تقتنع بأن يسوع قادر على أن يروي شوق روحها العميق.

صحيحٌ أنّنا لا نعرف شيئاً عن نوع العلاقة التي ربطت بين السامريّة ووالدها، إنّما أثبتت العديد من الدّراسات أهميّة التمتع بعلاقات متينة مع الأهل والعواقب العاطفيّة والسلوكيّة المدمّرة المتعلّقة بغياب الآباء. لاحظوا الإحصاءات التّالية:

❖ ٦٣٪ من حالات الانتحار بين الشباب تحدث في أسرٍ تخلو من وجود الأب -خمسة أضعاف المتوسّط.

❖ ٩٠٪ من الأطفال المشرّدين والهاربين ينتمون لأسرٍ تخلو من وجود الأب -ثلاثون ضعف المتوسّط.

❖ ٨٥٪ من الأطفال الذين يعانون اضطرابات سلوكيّة ينتمون إلى أسرٍ تخلو من وجود الأب -عشرون ضعف المتوسّط.

❖ ٨٠٪ من المغتصبين الذين يعانون مشاكل الغضب ينتمون إلى أسرٍ تخلو من وجود الأب -أربعة عشر ضعف المتوسّط.

❖ ٧١٪ من المتسرّبين من المدارس الثانويّة ينتمون إلى أسرٍ تخلو من وجود الأب -تسعة أضعاف المتوسّط.

❖ ٧٥٪ من المراهقين في مراكز إساءة استخدام المواد الكيميائيّة ينتمون إلى أسرٍ تخلو من وجود الأب -عشرة أضعاف المتوسّط.

❖ ٧٠٪ من الشّباب في المؤسّسات التي تديرها الدّولة ينتمون إلى أسرٍ تخلو من وجود الأب -تسعة أضعاف المتوسّط.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

❖ ٨٥% من الشباب في السّجن ينتمون إلى أُسر تخلو من وجود الأب -عشرون ضعف المتوسّط.<sup>٢</sup>

أداؤنا يتحسّن حقًا عندما نتمتّع بعلاقات عائليّة سليمة! بعض الذين يقودهم الشّعور بالوحدة قد لا يدركون أنّ الفراغ هو الشعور بالوحدة. وقد لا يعون في البداية أنّ الفراغ هو ما يحركهم. كثيرون ممّن يقفون في الصّف لحضور الحفلات يعتقدون حقًا أنّهم يمتّعون أنفسهم، إلى أن يدركهم الفراغ وينحرف بهم المسار. إنّهم بأمس الحاجة إلى مقابلة مع يسوع، وإلى حديثٍ يفتح عيونهم على الشّخص الذي يكشف لهم عطشهم، ويساعدهم على رؤية حقيقة تعلّقهم بأمرٍ ما، ويعرض عليهم الماء الحي.

### ٤. الشّعور بالقصور ومسار الأداء.

سوف ننتقل إلى مثل كتابي آخر غير موسّع بالكامل، وهو أقصر من قصّة المرأة السامريّة. تقدّم قصصٌ كتابيّة عديدة مجرد تفاصيل سطحيّة، لذا علينا أن نحذر من ملء الثُّغرات بثقة زائدة عن اللزوم. في قصّة عيسو نرى على الأقلّ موجزًا عن استجابة ما للرّفص، ويمكننا ملء بعض تفاصيل هذه الاستجابة من خلال مراقبة أنفسنا والآخرين في حالات مماثلة.

كونه شابًا متهورًا، باع عيسو بكوربته. ولكن مع الوقت كبر هو وأخوه، وتزوَّج عيسو، وحنّ وقت إعطاء البكوربة وبركتها المضاعفة. وبدا أنّ عيسو كان ينوي أن يحصل على الأقلّ على بركة الابن البكر. وكان والده إسحاق ينوي أن يمنحه إيّاها.

لم ينشأ عيسو وهو يشعرُ برفض والده له. بل على العكس، كان المفضّل لدى أبيه، والسبب كان للأسف تافهًا إلى حدّ ما. فقد أحبّ إسحاق صيدَ عيسو (تكوين ٢٥: ٢٨).

2 The Fatherless Generation, Statistics,  
<https://thefatherlessgeneration.wordpress.com/statistics/>  
Accessed June 8, 2015.

ردود فعل خاطئة تجاه الرِّفْض

دخل يعقوب بينما كان عيسو على وشك أخذ بركة البكر. فقام هذا التَّوأم المزعج بالإمساك به من الخلف، ورمى به أرضاً على وجهه، وفرَّ بالجائزة (هذا هو معنى اسم "يعقوب" العبري). شعر إسحاق بخيبة أمل لكنَّه حسَم قراره إذ قال: "بَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ وَيَكُونُ مُبَارَكًا!" (تكوين ٢٧: ٣٣).

ولكن كان الرِّفْض يختمر قبل حادثة البركة. وعندما بلغ عيسو الأربعين من عمره، لم يتزوَّج بامرأة واحدة فحسب، بل باثنتين! كانت هاتان السيِّدتان الحثيثتان "مَرَارَةَ نَفْسٍ لِإِسْحَاقَ وَرَفْقَةَ" (تكوين ٢٦: ٣٥). لا نعلم ما الذي كان يحدث، فتفاصيل الرِّفْض لم تُذكر. لكنَّ التوتُّر كان واضحاً وكان يزداد. لم يتقبَّل إسحاق ورفقة كَنَّتِيهَما، ولم تستطع مجاملات صيد عيسو مهما زادت أن تمحو الرِّفْض الذي شعرَ به بسبب زوجته.

استخدمت رفقة هذا الصِّدع في العلاقات العائليَّة كذريعة لإبعاد يعقوب، وحمايته من المرارة التي شعرَ بها عيسو. فقد قالت لإسحاق: "مَلَلْتُ حَيَاتِي مِنْ أَجْلِ بَنَاتِ حَثَّ. إِنْ كَانَ يَعْقُوبُ يَأْخُذُ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ حَثَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ مِنْ بَنَاتِ الْأَرْضِ فَلِمَذَا لِي حَيَاةٌ؟" (تكوين ٢٧: ٤٦). لا نعرف قدر الكلام المبالغ به، وكَم كان القلقُ الصادرُ عن الأمِّ حقيقيًّا، لكنَّ إسحاق وافق وأرسل يعقوب مرَّةً أُخرى إلى مسقط رأس رفقة لِيبحثَ عن زوجة.

لاحظ كيف أثر هذا على عيسو: " فَلَمَّا رَأَى عَيْسُو أَنَّ إِسْحَاقَ بَارَكَ يَعْقُوبَ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى فِدَّانِ أَرَامَ، لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مِنْ هُنَاكَ زَوْجَةً؛ إِذْ بَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلًا: "لَا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ". وَأَنَّ يَعْقُوبَ سَمِعَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ وَذَهَبَ إِلَى فِدَّانِ أَرَامَ؛ رَأَى عَيْسُو أَنَّ بَنَاتِ كَنْعَانَ شَرِّيرَاتٌ فِي عَيْنِي إِسْحَاقَ أَبِيهِ فَذَهَبَ عَيْسُو إِلَى إِسْمَاعِيلَ وَأَخَذَ مَحَلَّةَ بِنْتِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أُخْتِ نَبَايُوتَ زَوْجَةَ لَهُ عَلَى نِسَائِهِ" (تكوين ٢٨: ٦-٩).

إنَّ الرِّفْضَ الَّذِي اختبرهُ عيسو بسبب زوجته أثارَ مشاعر عميقة. فقد أدرك أنه لم ينل قبول أبيه وأمِّه لأنَّ زوجته لم تلقوا قبولهما. وهذا الإدراك بأنَّه لم

## ألم الرّفص ونعمة القبول

يعد يرضيهما وأنه لم يعد يرقى إلى مستوى توقّعاتهما، دفعه إلى فعل شيء ما. كثيرون من الذين رُفصوا لأنهم أخطأوا يحاولون كسب القبول من جديد من خلال القيام بشيء حسن. بعبارة أخرى، عندما يدرك الشخص أن أداءه لاقى رفضاً، سيحاول كسب القبول مجدداً عبر تطوير أداء مقبول.

في حالة عيسو، رفض والداه اختياراته السيئة. كان عيسو في الأربعينيات من عمره، ومن المستبعد أن يكون هذا الرفض قوةً دافعة في حياته. لكن بعض الأطفال يكبرون ولا ينالون، مهما سعوا جاهدين، سوى الرفض. قد يتعرّضون للسخرية، والعار، وسوء المعاملة، ويتهمون بأنهم غير نافعين. وهذا يولد فيهم لاحقاً شعوراً بالقصور يدفعهم إلى بذل المزيد من الجهد لكسب القبول من خلال تقديم أداء أفضل.

بالنسبة إلى هؤلاء الناس يصبح الأداء لكسب الرضا أسلوب عيش، لا سيما عندما يلي الرفض وقتاً كانوا مقبولين فيه. إنهم يحاولون، من خلال القيام بأمور لنيل الرضا، استعادة المكانة التي كانت لهم يوماً.

إليك محاولة تعريف استجابة الشخص الذي يفعل أموراً للتعويض عن الشعور بالقصور:

- ❖ إنه مدفوع للحصول على استحسان إنسان معين أو مجموعة معينة.
- ❖ إنه يجد صعوبة وعدم قدرة على التعايش مع الاستياء أو النقد.
- ❖ يصبح مشغولاً بما يفكر به الآخرون عنه.
- ❖ إنه يتبع خطة محددة ليثبت جدارته. بالنسبة إلى عيسو، تطلب الأمر اتخاذ زوجة تلقى القبول والاستحسان. بالنسبة إلى آخرين، قد يستلزم الأمر تطوير القدرة الرياضية، أو تحقيق إنجازات دراسية، أو التخطيط لمشاريع الأعمال التجارية، أو تنمية مهارات الطبخ أو التدبير المنزلي أو اللياقة البدنية أو صورة الممثل الفكاهي، وما إلى ذلك.

ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

❖ إنّه يستغلّ النَّاسَ لتحقيق غايته. فالأداء أهمّ من الناس. لا ندرى ما شعرت به مَحَلَّةَ بزواجها من عيسو، لكنّ الزّواج من امرأة لنيل قبول شخص آخر ليس المقدّمة الفضلى للزّواج، حتّى لو كان ذلك الشخص الآخر هو الوالد (مع أنّ الزواج لإرضاء العائلة في تلك الثقافة، كان أكثر شيوعاً ممّا هو عليه في ثقافتنا).

❖ إنّه يقيّم نفسه باستمرار عبر مقارنة نفسه بالآخرين. وعندما كان عيسو يبحث عن زوجة تنال قبولاً، كان على الأرجح يغار من يعقوب. ولا شكّ أنّ احتمال أن ينال يعقوب (الغشاش والمتواطئ) قبولاً أكثر منه أثار غضبه.

❖ إنّ السّعي لنيل القبول مهمّ للغاية، لكنّه يعرّض الإنسان لخطر اتّخاذ قرارات خاطئة. قد يقدّم تضحيات غير حكيمة، ويجد صعوبةً في قول "لا"، ويفرط في ملء جدولته، وبالتالي، يتسبّب بإجهاد المقرّبين منه.

❖ قد يُبدي استعداداً للتنازل عن مبادئه في سبيل نيل القبول.

لا يمكننا تمييز جميع هذه الخصائص في شخصيّة عيسو، ومع ذلك نرى العديد منها ظاهراً في دوافعه. فقد اتّخذ زوجةً أخرى، ليس لأنّه بحاجة إلى ذلك، لكن لاستعادة رضا والده. فهذا هو المؤدّي؛ يفعل أشياء ويوافق على فعل أمور في سبيل كسب القبول، دون الأخذ بعين الاعتبار كم سيكلفه ذلك، أو كم سيكلف المقرّبين منه. وبالتالي يجدّ المؤدّي نفسه محكوماً بالتزامات مستحيلة وعاجزاً عن إرضاء الجميع، ولا يستطيع المجازفة بالرّفص بقول "لا"، ما يشعره وكأنّه اعتراف بقصوره.

يسير المؤدّي تحت قيادة الشّعور بالقصور إلى أقصى الحدود أو أسخفها - حتّى الحدود غير الأخلاقيّة- في سبيل إرضاء الآخرين أو إثبات كفايته. فكّر كيف يأخذ بعض الرياضيين المنشطات، بل ويكذبون أيضاً حول الموضوع في

## ألم الرّفص ونعمة القبول

سبيل الفوز. واضحٌ أننا قد نندفع للأداء لأسباب عديدة غير الرّفص. والفكرة هي أنّه عندما يُقدّر الأداء بأيّ ثمن، قد نجبر أنفسنا على تخطي محدودياتنا وتجاهل الحدود الأخلاقيّة أيضاً.

قبل بضع سنوات، تحدّثت إلى رجل (سأسمّيه جو) كان مكتئباً وحزيناً. فقد كانت زوجته تطلّقه، وكانت مخطوبة وستتزوّج من رجل آخر. وكان لجو وزوجته ابنة عمرها سنتان. وكان جو مغشى عليه تقريباً من شدّة الحزن، والغضب، والخجل، والشّعور بالرّفص.

مع بعض الأسئلة من جانبي، فتح لي جو قلبه وأخبرني أنّ والديه تطلّقا عندما كان يبلغ من العمر سنتين. وقد ترك هو وأخته مع والدهما، الذي سرعان ما تزوّج من امرأة، لديها بدورها ولدان.

وخلال سنوات نشأته، سعى جو إلى جذب انتباه والده ونيل رضاه. وحاول أن يجتهد في المدرسة. لكن يبدو أنّ والده لم يكن يلاحظ أيّ شيء. حاول التفوّق في الرياضة. وأيضاً لم يلقَ الاهتمام. وفي الرابعة عشرة من عمره، لجأ جو إلى الكحول، وكان أحياناً يمضي الليل كلّه خارج المنزل. ولم يكن والده يسأله حتّى أين كان. وقد قال لي والألم باد على وجهه: "في بعض الأحيان كنتُ أمضي أسبوعاً كاملاً بعيداً عن المنزل، وكنتُ أنام في منازل أصدقائي، وأبي لم يسألني مرّة أين كنت."

عندما قابلَ جو الفتاة التي أصبحت زوجته، كان يتوق جدّاً للحبّ والقبول، لذا لم يفكّر في الفروقات الضخمة بينهما. فقد حصل أخيراً على مَنْ يعيره اهتماماً. وكانا قبل فترة طويلة، قد قرّرا الزّواج لأنّها كانت حاملاً، وقد أبى والداها اليهوديّان أن يحتملا عار أن تحمل ابنتهما خارج إطار الزواج.

تقدّم قصّة جو منعطفاً آخر في استجابة المؤدّي الصّادرة عن شعور بالقصور. بعض النّاس الذين يشعرون بالقصور ويحاولون اللجوء إلى الأداء لاستجداء القبول،

ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

ينتهي بهم الأمر إمّا بالاستسلام، أو بالفشل الذريع. وبدلاً من أن يُصبحوا نشطاء في ما يفعلونه، ترمي بهم إخفاقاتهم في الحضيض.

ومع ذلك، إنهم يرون أنفسهم مؤدّين ممتازين على الرغم من سجلهم السيئ. وقد يقنعون الآخرين لبعض الوقت، إلى أن يسقط القناع ويظهرون على حقيقتهم. فهم بارعون في الكلام، وقاصرون عن الأداء.

ويتحوّل بعض النَّاس من طرف إلى آخر، فيؤدّدون ببراعة لفترة ثمّ يتراجعون بسلبية باقي الوقت. وقد يكون البعض الآخر مؤدّين في مجال واحد في حياتهم وسلبيين للغاية في مجالات أخرى. فإنّهم يعيشون لفعل شيء واحد، ويغفلون عن أشياء أخرى ويهملون بها بشدّة. خلاصة القول هي أنّهم عرفوا الرّفص، وقيل لهم إنهم غير نافعين (أو يخافون أن يكونوا غير نافعين)، ويعتقدون أنّ السبيل الوحيد لإسكات ذلك الحكم هو العمل أكثر فأكثر.

### منعطف "صالح" على مسار الأداء.

بالنسبة إلى المؤمنين، قد يأخذ مسار الأداء، الذي يأتي استجابةً للرّفص، منعطفًا آخر أحياناً، وهو مسار "الصّلاح". إنّ الرّفص يدعونا إلى إيجاد ضماننا في المسيح، كما سنستكشف في فصلٍ لاحق. لذلك يجب أن نوضّح منذ البداية أنّه من الجيّد اللّجوء إلى الرّب، لأنّه الخيار الصّالح. وعندما يلجأ المسيحي إلى الرّب لأنّ الآخرين تركوه، فإنّه يتبع خطى يوسف، وداود، والعديد من القديسين الآخرين. وقد يكون تسلّقاً صعباً، لكن له مكافآت جزيلة. علينا فقط أن ننظر إلى الجانب المشرق من شخصيّة هؤلاء الرّجال والنّساء الذين سلكوا هذا المسار كي نتأكّد من صلاحه.

لكن للمسار مفترق طرق، أي انقسام ما بين الخيار الصالح وهو اللّجوء إلى الرّب، وخيار البرّ الذاتي أو اللّجوء إلى الرّب لأسباب أنانيّة. ولفهم هذا الانقسام، لا بدّ أن نتذكّر أنّ الرّفص يسدّد ضربة عنيفة على إحساس الفرد بهويّته وقيّمته. وقد

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

يختلف هذا، وفقاً لمنْ يقوم بالرفض ولكيفية الرفض. ولكن عندما يقوم الأهل، أو الأصدقاء السابقون، أو الزّوج، أو شركاء خدمة الملكوت برفضك أو بالتحذّر عنك بالسوء، أو بمقاطعتك، أو بمعاملتك بازدراء، فمن الصّعب ألا تشعر بانعدام القيمة. وعندما نعرف في قلوبنا أن لرفضهم مبرراً، وأننا فشلنا فشلاً ذريعاً أو خذلناهم أو شاركنا في أعمال ومواقف تنمّ عن الجسد، قد يؤكّد ضميرنا الرّفص الذي نشعر به من الآخرين. لقد كنّا حقاً أغبياء أو غير جديرين أو مخطئين. وقد فشلنا بحق.

لكلّ هذا القدرة على جعل الشخص يركّز على نفسه. فقد يصبح طريق البرّ طريقاً للبرّ الذاتي، أو طريق برّ لأسباب أنانيّة. وقد يصبح الوسيلة التي يرى بها الإنسان نفسه متفوقاً روحياً على أولئك الذين رفضوه. وقد نجد صعوبة في الاعتراف بأنّ اللجوء إلى الرّب في أوقات الرّفص قد يكون بدوافع أنانيّة. وقد يُعبّر عن هذه الأنانيّة بأيّ من الطرق التّالية:

- ❖ لستُ بحاجة إلى أولئك الذين يرفضونني. فالرّب لي الآن.
- ❖ لديّ ما لا يعرفون عنه شيئاً (وهذا ما يجعلني متفوقاً عليهم).
- ❖ أنا أطلب الرّب بحماسة أكثر من الذين يرفضونني.
- ❖ الرّب يمنحني رؤى واختبارات لأدرك كم أنّ الذين يرفضونني غير روحيين ومخطئون.

قد تصبح الاختبارات الروحيّة مع الرّب وسيلةً يستخدمها الشخص المرفوض ليتباهى بها ويتكبّر على النفوس البائسة التي رفضته. وهذا الموقف المتعالي، لا سيّما إذا نمّقته أساطير النّمّو الشّخصي وسط عدم نضج الآخرين، يسيء لأولئك الذين يصغون إلى تلك القصص، ما يؤدي بالتأكيد إلى المزيد من الرّفص. ويبدو الرّفص الجديد خادعاً، فهو يغدّي أكثر موقف "أنا على حقّ وهم مخطئون". يشعر المرفوض أنّ اختباراتهِ تمثّل تقدّماً روحياً، في حين يرى رافضوه "التقدّم الروحي"

ردود فعل خاطئة تجاه الرّفص

وهماً. وكلّما شعر الشّخص المرفوض بالرّفص أكثر، طلب الرّبّ أكثر، لكن الحقيقة أنّ طلب الرّبّ قد يصبح أكثر فأكثر طريقاً لإثبات أنّه على صواب.

وقد يتجلّى ضعفه أو خطأه بشكل واضح جدّاً للآخرين، بينما يعجز هو عن رؤيته. إنّه يفضّل أن يشهد عن البرّ. وبما أنّه يتبع برّه كونه وسيلةً للتعالى على رافضيه، فهو عرضة لخطر التمسك به لأسباب شخصيّة.

إنّ العضو الذي تؤدّب به الكنيسة يواجهه في أحيانٍ كثيرة إغراء السّير في طريق البرّ الذاتي. إنّ رفض سلوكيّات معيّنة يبدو بالنسبة إليه رفضاً لشخصه. لذا لا بدّ أن تؤدّب الكنيسة بمحبّة ولا بقسوة. ومع ذلك، إنّ الشّخص الجسدي أو غير الناضج سوف يبدي أحياناً ردود أفعال، ويركّز على نقاط الضّعف في المجموعة، ويبحث عن كنيسة أخرى "روحيّة أكثر". وسرعان ما سيشعر بالتفوّق الرّوحي على أولئك الذين تركهم وراءه.

أحياناً، يكون الشّخص الذي يسلك طريق البرّ الذاتي صادقاً في طلب الرّبّ في البداية. فهو بحاجة حقاً إلى إيجاد أساس ثابت لأمانه أكثر من رضا الآخرين. لكن مفترق الطريق من جهة اليسار يتقدّمه دائماً، وهو طلب الله كوسيلة ليثبت لنفسه وللآخرين أن الجناة الحقيقيين في هذا الصّراع الشّخصي هم الناس الآخرون، وليس هو. يُحتمل أنّه إن لم يتمتّع هذا الشّخص بالوعي الكامل، سيصبح الله وسيلةً لتنفيذ جدولته الشّخصي. وسيقوم هذا الشخص بتبرير نفسه وإدانة الطّرف الآخر. فالبرّ، والبركات، والصلوات المستجابة، والأفكار، كلّها تتكدّس أكثر فأكثر فوق كومة من الأدلّة.

بالطبع، تنبعث من هذا البرّ رائحة الذات. وإذا أردنا أن نستخدم تشبيهاً غير لائق، لقلنا إنّ الشخص الذي يتمتّع بالبرّ الذاتي يبدو كمنّ لديه رائحة فم كريهة، فالجميع مدركٌ لمشكلته أكثر منه.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

### المزيد من الأفكار حول المسارات الأربعة.

إنّ الأمثلة الكتابيّة الأربعة عن الاستجابات على الرّفص التي تأملنا بها، قد تبدو أربعة مسارات منفصلة ومختلفة يسلكها البشر. لكنّها متداخلة في التجربة الفعلية. لم يكن الغضب هو العاطفة الوحيدة التي شعرَ بها أبشالوم. فلا شكّ أنّه شعرَ أحياناً بالخوف والوحدة والقصور. وهو لم يسرْ فحسب في مسار التمرد، بل كان أحياناً متسلّطاً، أو مُفرطاً، أو مؤدّيّاً. وعلى الرغم من طريقة تداخل واختلاط هذه الاستجابات في حياة الفرد، تبين لنا هذه الشخصيات الكتابيّة المشاعر القويّة المقترنة بالرّفص والميل إلى اتباع مسارٍ معيّن في الاستجابات.

ينتقلُ بعض النَّاس من مسارٍ إلى آخر. فمثلاً، الإنسان الذي يجري في مسار التمرد في شبابه، قد يصبح في نهاية المطاف مؤدّيّاً. فبعد أن كان عداؤه لأبيه يدفعه في الصّغر، قد يندفع لإرضاء أقرانه في السّنوات اللاحقة.

في جميع هذه الأمثلة، يكون الشخص مدفوعاً. ويعمل الرّفص في القلب كالماء التي تغلي باستمرار، فيحفّزنا بطرق لا ندرکها. هذه الدوافع المخفية في حياتنا لا يكشفها سوى عمل المسيح الكفاري. المرأة عند البئر ما كانت لتصفّ وحدتها وميلها للرجال على أنّه عطش لو لم تقابل يسوع وتجد الماء الذي يروي بحق. وبمجرد أن ارتوت، استطاعت أن تميّز ما كان يدفعها طوال تلك السنوات. وقد أصبحت على الأرجح واعيةً ومتعاطفةً مع أولئك المدفوعين مثلها لإرواء عطش الروح من النبع الخطأ.

ليست الاستجابات على الرّفص متداخلة فحسب، لكنّها أيضاً في أحيان كثيرة غير معترف بها لما هي عليه. قد نركّز على أخطاء الآخرين لدرجة أنّنا نجد صعوبة في رؤية أنفسنا. إنّ النّظر إلى قصص الكتاب المقدّس بهذا التفصيل يساعدنا على تعلّم رؤية أنفسنا. فملاحظة استجابة الآخرين وتمييز ما يدفعهم، أسهل من ملاحظة سلوكياتنا ودوافعنا. وكما بيّن كُتّاب العهد الجديد، إنه أمرٌ جيّد أن ننظر إلى حياة شعب الله في الماضي، حتى أولئك الذين "سقطوا".

ردودُ فعلٍ خاطئةٍ تجاه الرِّفْضِ

يقول الرسول بولس: "فَهَذِهِ الْأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالًا وَكُتِبَتْ لِإِنذَارِنَا" (١كورنثوس ١٠: ١١). بينما نتأمل حياة الآخرين، يسهلُ علينا اكتشاف أخطائنا الخاصة والاعتراف بها، ما قد يعدُّنا للجوء إلى الربِّ.

### أسئلة الدراسة

١. اذكر الردود الأربعة على الرِّفْضِ التي تَمَّت مناقشتها في هذا الفصل، ولخِّصْ كلاً منها بكلماتك الخاصة.
٢. في مراقبتك الأشخاص الذين اختبروا الرِّفْضِ، أيُّ من هذه الردود الأربعة هو الأكثر شيوعاً برأيك، ولماذا؟
٣. برأيك، أيُّ من هذه الردود الأربعة هو الأخطر؟ ولماذا؟
٤. أيمكنك وصف الردود الأخرى التي لاحظتها في النَّاسِ عندما يواجهون الرِّفْضِ؟
٥. أيُّ من هذه الردود تُبدي أنت؟ وكيف؟
٦. هل تغيَّر ردُّ فعلك مع مرور الوقت، وإن كان الأمر كذلك، من المسؤول عن التَّغيير؟ وهل تصفُ هذا التَّغيير بأنه للأفضل أم للأسوأ؟
٧. صِفْ قدر الإيمان، "الطريق" الذي سلكته استجابةً للرفض الذي واجهته. إن قصة كلِّ إنسان فريدة. بينما تصفُ ردودك، قد ترغب في مقارنة نفسك ومقابلتها بشخصية كتابية أو أكثر في هذا الفصل.
٨. بما أنك درستَ هذه الشخصيات الكتابية، هل هناك أفكار إضافية حول الرِّفْضِ تعني لك بشكلٍ خاصٍّ؟
٩. إلى أيِّ مدى جاهدتَ في مسار "البرِّ"؟ هل ترى نفسك أكثر صلاحاً من أولئك الذين رفضوك؟ وكيف دفعك هذا لتكون "صالحاً" كوسيلة لتخفيف الألم؟ أو كوسيلة لإثبات خطئهم؟ أو كوسيلة لتشعر بالرضا تجاه نفسك؟



## الفصل ٤

# المشاكلُ الأساسيةُ المتعلّقة بالرفض

تأمّلنا حتّى الآن في أمثلة كتابيّة عن الرّفْض، واستكشّفنا رغبة الإنسان في إنشاء روابط وثيقة، ما يجعل الرّفْض مؤلِّمًا للغاية. وقد تتبّعنا كيف تقوّد المشاعر المرتبطة بالرّفْض النَّاسَ إلى إبداء ردود أفعال خاطئة. قد يوحي هذا بأنّ رحلة إيجاد الحلّ طويلة، لكن يجب علينا ألاّ نستعجل، من خلال فهم المشكلة. صحيحٌ أنّ مجرد الفهم لا يكفي، لكن لا يمكننا الانتقال على نحو صحيح إلى حلّ المشاكل ما لم نفهمها بشكلٍ كافٍ.

دعونا نتناول المشاكل الثلاث الأساسية المتعلّقة بالرّفْض التي ينبغي فهمها ومعالجتها للخروج من هذا المستنقع. فمن خلال مواجهة هذه المشاكل نستعدُّ لاستقبال إرشاد الله ونعمته للتحرّر من الرفض.

### ١. الرّفْضُ يَحْتُنُّنا على التّركيز على أنفسنا.

يطالنا الرّفْضُ شخصيًّا، لذا من الصّعب أن نعرّض للرّفْض دون أن نشعر شخصيًّا بقلّة القيمة. وفي صراعنا مع مشاعر قلّة القيمة الشّخصية، تلازمنا أحاسيس مثل غير مستحقّ، وغير مرغوب فيه، وغير نافع، وأدنى منزلة، وغير محبوب. وقد تتحدّد قلّة القيمة بشكل أدقّ وفقًا للظروف: غبي، بشع، أخرق، غير موهوب، ضعيف، فاشل، وصمة عار، مزعج.

## ألم الرِّفْض ونعمة القَبول

إنَّ المشاعر المؤلمة التي تخالَجنا تحصرُ أفكارنا جدًّا في أنفسنا. فنحن نرى الأوضاع من منطلق تأثيرها علينا شخصيًّا. ونبدأ بتصنيف النَّاس ما بين آمنين أو غير آمنين، ومعنا أو ضدَّنا، ويحبُّوننا أو لا يحبُّوننا. ونقيسُ ما نفعله ونقوله، وأيضًا ما يفعله ويقوله الآخرون، على أساس قبولنا أو رفضنا شخصيًّا. فيصبح رأي الآخريين بنا هو جلُّ ما نفكرُ فيه، وينصبُّ تركيزنا الأوَّل على متابعة كيف يعاملنا الآخرون.

هذا التَّركيز على الأنا غير محصور فقط في أولئك الذين تعرَّضوا للرِّفْض. إنَّ الرِّفْض يزيد من التَّمركز حول الذات الشائع عند البشر. وهذا هو الواقع الصَّعب الذي ينبغي لنا فهمه. نحن نسمح لتجربة الرِّفْض أن تجعل الحياة والعلاقات والأحداث تتمحورُ أساسًا وبشكلٍ متزايدٍ حول ذواتنا.

أفكرُ في روث، السيِّدة التي اختبرت الكثير من الرِّفْض في طفولتها. وكامرأةٍ راشدة كانت تقيمُ تعابير وجوه السيِّدات الأخريات في صفِّ مدرسة الأحد لتعرف ما إذا كنَّ راضيات عنها. وقد جاءت إلى زوجتي باكيةً ومقتنعة بأنَّ باربرا تكنُ شيئًا ضدَّها لأنَّها لم تبتسم لها لعدَّة أيَّامٍ آحاد. فوجئت زوجتي جدًّا. فقد كنَّا آنذاك نواجهُ ظروفًا صعبة لا علاقة لها بكنيستنا المحليَّة. وبعد التَّفكير، أدركت زوجتي أنَّها لم تَبْدُ فَرِحَةً كعادتها، ولم تعلم أنَّ تعابير وجهها كانت تُستخدم لتحديد قيمة روث. إنَّما بالنسبة إلى روث، بدا منطقيًّا جدًّا أن يكون غياب الابتسامة عن وجه زوجتي له علاقة بها ويمثِّل رفضًا.

لا بدَّ لأية مساعدة تُقدِّم لأولئك الذين يواجهون الرِّفْض أن تعالج المشكلة الأساسيَّة وهي كيف دفعهم الرِّفْض إلى التَّمحور حول الذات. كما ذكرنا في الفصل الأخير، قد يكون حتَّى اللجوء إلى الله وسيلةً لخدمة أنفسنا. وباللجوء إلى الله ورؤية أنفسنا ننمو روحيًّا أكثر من أولئك الذين يرفضوننا، يُخيِّلُ إلينا أنَّ هذا يساعدنا على تخطي ألم نظرات الاحتقار التي يرمقوننا بها. إنَّما في الواقع، نحن نردُّ لهم الضربة بضربة. لقد احتقرونا، والآن نستطيع نحن أن نحتقرهم. للأسف، بهذا النوع من "القداسة"، نحن لا نعي ما نفعله.

للخروج من دائرة الرفض، يجب أن ننظر إلى أنفسنا بتمعن وصدق، ونكون مستعدين للتحوّل من التركيز على الذات إلى التركيز على يسوع وطريقه ومحبته. وفي يسوع وحده نجد الأمل في الخروج من هذا المستنقع دون الوقوع في مستنقع آخر. في الفصل التالي، سوف نعالج ذلك بالتفصيل. إنّما سنركّز في هذا الفصل على الاعتراف بالمشكلة الأساسية، أي الذات.

قد يكون هذا بمثابة علاج خانق لأولئك المرفوضين لأنهم يرون -بحق في أحيان كثيرة- أنّ الذين يرفضونهم مخطئون. ويرون في الآخرين الأنانية، والكبرياء، والتصرّيات القاسية، والعيون المتعالية، وتكتيكات الإقصاء، كما يجدون صعوبة في تحويل التركيز عن سبب المشكلة الواضح للتعامل بالأحرى مع ذواتهم.

فالنفس تزدهر عند تعرّضها لسوء معاملة الآخرين بقدر ما تزدهر عند إساءة معاملة الآخرين. فقد تكون النفس هي المشكلة الأساسية لدى الأشخاص الذين يشعرون بالنقص والنّبذ، تمامًا كما هي المشكلة الأساسية لدى أولئك الذين يشعرون بالتفوق وبأنهم "داخل مجموعة". قد نركّز على ذواتنا عندما نراعي أفكارًا سلبية وقبيحة عن أنفسنا، كما عندما نتبنى أفكارًا سامية ومبالغ بها عن أنفسنا.

وقد نجد صعوبةً في ملاحظة تركيزنا على ذواتنا والاعتراف به في الأوقات التي نكون فيها منهارين أكثر من الأوقات التي نشعر فيها بالرّضا عن أنفسنا. وإن تعرّضت لسوء معاملة الآخرين، وتمّ تحذيري من تركيزي على الذات، تحوّل أفكاري "الدونية" التحذير الحسن النية إلى موقف رفض آخر. فعندما أركّز بشدّة على كيفية تعرّضي للظلم، يبدو لي أيّ تلميح من شخص ما بأنّ استجابتي خاطئة وكأنّ هذا الشخص انقلب بدوره ضديّ. فقد بلغت مرحلة حرجة حيث يبدو كلّ ما يؤلم سيئًا، وكلّ من يلمس جرحي هو ضديّ، حتّى لو كانت نيّته مساعدتي.

هذا التركيز على الذات هو المشكلة الأساسية التي تتحدّر منها كافّة المشاكل الأخرى التي نناقشها في هذا الفصل. لا بدّ من التعامل مع مسألة محور تركيزنا

## ألم الرّفص ونعمة القبول

قبل معالجة أيّ شيء آخر. ولا يمكننا أن نأمل بإحراز أيّ تقدّم ما لم نضع الفأس على أصل الشجرة. كما يجدر بنا رؤية عمل الفأس على أصل الذات ضمن السياق الصحيح. قال الرب يسوع: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَتَّبِعْنِي" (لوقا ٩: ٢٣). نحن لسنا بصدد تعذيب أنفسنا؛ بل إننا ببساطة نغيّر محط تركيزنا، ونتعامل مع الذات حتّى يصبح يسوع هو المركز. سنرى لاحقاً كم أنّ هذه المقايضة رائعة. قد تكون مؤلمة ولكنّ فرحنا بمركزنا الجديد يفوق كلّ ألم.

### ٢. اختبار الرّفص يتحوّل بسهولة إلى عقلية الرّفص.

بما أنّ الرّفص مؤلم، لا يسعنا إلّا التّفكير فيه. وبدون أفكار الفداء وبدون نعمة الله، سوف نسترجع الألم مراراً وتكراراً ونعيد إحياءه في أذهاننا. وفي إعادة الإحياء تلك، سوف نطوّر عقلية الرّفص، التي بدورها تظلم فكر الإنسان بغمامة من مشاعر ومواقف الرّفص. وتتضمّن عقلية الرّفص عادات تفكير ومشاعر تتجلّى من خلال عادات محدّدة غير سليمة في التعامل مع الآخرين.

تتضمّن عقلية الرّفص أنماط التّفكير التالية:

- ❖ لا أحد يحبّني بحقّ.
- ❖ أنا مختلف وغير طبيعي.
- ❖ النّاس يحبّونني، لأنّهم لا يعرفونني حقّ المعرفة.
- ❖ عندما يعرف النّاس من أنا حقّاً، سوف يرفضونني.
- ❖ لستُ بارعاً بما يكفي لأفعل ما يفعله الآخرون، لكن عليّ أن أتصرّف وكأنّي على ما يرام.
- ❖ ما يفكر به الآخرون عنيّ هو المقياس الأساسي الذي يحدّد هويّتي.
- ❖ احتاج إلى القبول كي أعمل، وبدونه أنا مدمر وبلا قيمة.

- ❖ إنَّ عدمَ تقبُّلِ ما أقوله أو أفعله يعني رفضي أنا كشخص.
  - ❖ إنَّ عدمَ اتِّفاقِ النَّاسِ مع ما أقوله يعني أنَّهم لا يحبُّونني.
  - ❖ أتوقُّ إلى القبول، وعندما أحصل عليه أجدُه غيرَ صادق.
- والقائمة تطولُ، لكنَّها المزيد من الشَّيء نفسه.

تدفعُ عقليةُ الرَّفْضِ الشَّخصَ المرفوض إلى استقراء الرَّفْضِ في كلمات النَّاسِ وأفعالهم حتَّى لو لم يقصدوا ذلك، وإلى امتحان ردود أفعالهم باستمرار. وقد يلمِّح الشَّخص المرفوض إلى ما يريد معرفته. فعلى سبيل المثال، قد تسأل سيدة: "ما رأيك بهذه الأمسية؟" في حين أنَّها تريد فعلياً معرفة رأيك بفستانها الجديد. وسوف تستغلُّ ما قلته لتخرجَ باستنتاج لم تقصده أنتَ وتمتحن قصدك. فتقول: "لماذا لا يعجبك فستاني؟" (في حين أنَّ ما قلته كان: "هذا الفستان له حزام").

هذا النَّوع من التَّلْميح والبحث عن التَّعليقات والتقويمات أصبح قديماً، ولكن هناك المزيد.

يُجرِي أصحاب عقلية الرَّفْضِ أنواعاً أخرى من الامتحانات. فمثلاً إذا لم تعلقُ على عملٍ ما ينجزونه، قد يعلقون على شيء خطأ فعلوه ليعرفوا ما إذا كنت ستُثني عليهم أو تنتقدهم. وسوف يقدِّمون ملاحظات مستهجنة حول أنفسهم لدفعك إلى تصحيحها وإبداء قبولك.

سيقولون أموراً مثل:

"أنا سيئ."

"أنا حالة ميؤوس منها."

"أنا شخصٌ فظيح لا يحبُّه أحد."

"أشعر بخيبة أملٍ إزاء نفسي."

## ألم الرِّفض ونعمة القَبول

بما أنهم غير متأكدين من قبولك تجاههم، سوف يضغطون عليك لفحص مدى قبولك لهم. وقد يتحوّل الأمر للأسوأ. فقد يتّهمونك بالفعل، ليس لأنهم يظنون أنك أخطأت، إنّما بسبب توقعهم الشديد إلى قبولك، ممتزجًا بالخشية المتزايدة من أنك لو عرفتهم على حقيقتهم لرفضتهم.

"أنت أيضًا لا تهتمُّ بأمرى".

"تقول إنك تحبُّني، ولا تتصل بي أبدًا".

قد تتزايد صعوبة الامتحانات إلى أن تنتهي بمحاولات انتحار. بالنسبة إلى أصحاب عقلية الرِّفض، إنّ محاولة الانتحار هي وسيلة لوضع مكبر صوت لخوفهم الداخلي: "لا أحد يحبُّني حقًا." إنه ذروة امتحانات كثيرة كانت تشتدُّ صعوبةً، دافعةً الناس إلى الاهتمام، وإظهار الحبِّ، ومنح قبولهم وموافقهم، من أجل تبديد القناعة المزعجة بوجود أفكار ومشاعر رفض خلف كل كلمة لطف أو تشجيع.

بالطبع، ليس الرِّفض التجربة الوحيدة التي تحفّز على الانتحار، ولكن كل من يسترسل في التفكير في موضوع الرِّفض لا بدّ أن يتساءل كيف قد يؤثر انتحاره بالآخرين. من الجيد أنّ هذا الفكر ليس جادًا دائمًا، ولكن، عند تعرُّض الشخص للرِّفض الشديد، قد يصبح الانتحار مغريًا. وكلّما تمرّس الشخص في امتحان القبول أو الرِّفض، اتّجه أكثر نحو هذا النوع من الامتحانات.

إنّ عقلية الرِّفض هي نتاج التّمرّكز حول الذات. ولا يمكن أبدًا أن تتغيّر ما لم يتمّ التّعامل مع مشكلة التّمرّكز.

لكن قبل النظر في المشكلة الأساسيّة الثالثة، لا بدّ من التأمّل في نوعين من العواقب الناتجة عن عقلية الرِّفض؛ العواقب بين الأشخاص والعواقب الروحيّة.

عقلية الرِّفض تُفسد العلاقات بين الأشخاص. عندما يدفّعنا بانتظام الأشخاص الذين يخشون الرِّفض إلى التّعبير عن القبول، ويتلاعبون بنا لقضاء بعض الوقت معهم، ويمتحنون صدق محبّتنا لهم، سوف نشعر بالإرهاق. وهكذا، عندما يصبح

الشخص منهمكًا بالرفض، فالعادات غير السليمة المتعلقة بإنشاء روابط تمنعه من الألفة السليمة التي يتوق إليها. إنه يشترق إليها، لكنه يخشاها أيضًا. فهو يشهد اهتمامك وقبولك أو يطالبك بهما (علانيةً أو بطرق غير مباشرة)، لكنه لا يثق أبدًا بصدقهما. إنه يتوانى في إنشاء الروابط والصداقات التي يتوق إليها لأنه يعيش في خوفٍ من ألا تكون حقيقيةً أو ألا تدوم.

وقد يُشكل هذا إحباطًا لكل من يحاول مساعدة ذلك الشخص على تجاوز الرفض. قد نميل إلى الظن بأنه منافق أو عنيد. وهذا صحيح أحيانًا، لكن وعينا بوجود الخوف يمكن أن يساعدنا على التعاطف.

في بعض الأحيان يكون أصعب جزء في مساعدة صاحب عقلية الرفض هو توضيح الطرق التي يبني بها سدودًا بينه وبين الأشخاص ويعيق فيها العلاقات السليمة. قد يكون الصدق مؤلمًا للغاية ولكن، إن عبرنا عنه بمحبة سيساعد جدًا صاحب عقلية الرفض. إن بينت له كيف يقربك منه (عبر جعل نفسه ضحيةً مثلًا، أو عبر شد انتباهك) ثم يدفَع بعيدًا أو يرفض الوثوق بك، وكذلك، إن وصفت طرقًا سليمة أكثر لإنشاء علاقات، بوسعك أن تظهر له المحبة الحقيقية. وإن مارست هذا النوع من الصدق المؤلم بدون محبة ستبدو كجراح يُجري عمليةً بدون تخدير. فكما يأخذ الجراح بعين الاعتبار صحة المريض العامة، عندما يحتاج هذا إلى العملية، وقيس الفوائد والمخاطر، كذلك المحبة تدعونا إلى التحلي بحسن التمييز عند معالجة عادات صاحب عقلية الرفض السيئة.

قبل التحدث بصدق عن العادات السيئة في العلاقات، لا بد من بناء أساس من الثقة، والاصغاء بانتباه وتعاطف. وعند مصارحة الشخص بالطرق التي بها يعيق الألفة السليمة، لا بد من الاهتمام بكل ما يؤول لخيره. إن أحطنا تعليقاتنا الصادقة بتعبيرات الحب والاهتمام، واستخدمنا نبرة صوت هادئة ولطيفة، وطمانانه باستمرار سوف نساعد على تقبل الحقائق المؤلمة بشكل أفضل.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

إنّ عقليّة الرّفص تعوق النّمو الرّوحي. إنّنا بحصر تفكيرنا في أنفسنا، والتّركيز على كينيّة استقبال الآخرين لنا أو عدم استقبالنا، ومقارنة أنفسنا بهم، ومطالبتهم بالقبول، وامتحان ما إذا كانوا يحبّوننا حقًا، نبتعد عن الأبعاد المهمّة للاختبار المسيحي. فبمنابتنا مؤمنين، نحن مدعوون لأن نكون مشابهين يسوع، وناضجين، ونامين في المعرفة الرّوحيّة والحكمة. فقد أوكل الرّبّ إلينا حياتنا ومواهبنا ومواردنا كي نبارك آخرين. لكنّ عقليّة الرّفص تنحرف بنا جزئيًا أو كليًا أحيانًا عن هذه الدّعوات المهمّة.

عندما ينصبّ اهتمامنا على ذواتنا، نفقد اهتمامنا بيسوع. وعندما نكون مهووسين بما إذا كان الآخرون سيستقبلوننا أم لا، لا نعود نفكر في احتياجاتهم أو في الطّرق التي يدعوننا بها الله إلى خدمتهم. وعندما نشعرُ بالحزن لأنّ شخصًا ما لم يُعرنا الاهتمام الذي كنّا نريده، لا نعود نفكر في أنّ موقفنا قد يحزن قلب الله. الرّفص مرتبطٌ بنا، أمّا النّمو الرّوحي فمرتبطٌ بعلاقتنا ومسؤوليّتنا تجاه الله والآخرين.

فالحياة الجديدة التي وهبها الله لنا لا تخصّنا وحدنا. والرّبّ لم يمنحنا قدراتنا لنكسب قبول الآخرين، بل لنخدمهم. الحياة إذًا هي وكالة. ونحن موجودون لمجد الله، وأيضًا لخير وبركة الآخرين الرّوحيّة. ومن مهامّ المؤمن توجيه الآخرين إلى يسوع وإرشادهم إلى طريق إطاعته. وتستوجب تلمذة الآخرين هذه نضجًا.

حزُن الرّفص مفهوم، لكنّه أيضًا خطير، لأنّه يغرقنا في مستنقع الذات. فالانتقال من رّفص إلى آخر، يجعل البعض عالقين وغير قادرين على الخروج من هذا المستنقع. فيصبح دافعهم لطلب يسوع هو إيجاد القبول أكثر منه إيجاد الخلاص. ويفعلون ذلك بدافع الطّفولة الرّوحيّة-الحصول على اهتمام من حولهم -لأنّهم لا يزالون عالقين في عقليّة الرّفص، التي تعوقهم عن التقدّم الرّوحي.

### ٣. الرّفْض يزيد انعدام الأمان والجوع إلى الحبّ.

إنّ أصحاب عقليّة الرّفْض هم في خوف مستمرّ؛ إنهم يخافون ممّا يفكّر به الآخرون، ويخافون من أن يتمّ إهمالهم، ويخافون من ألا تكون المحبّة حقيقيّة أو ألا تدوم، كما يخافون من أن الآخريّن لا يفصحون عمّا يفكّرون به حقًّا.

قد يسيطر هذا الجوّ من انعدام الأمان على حياة الإنسان، ويملي عليه ما يقوله، ويتحكّم بتصرّفاته وردود أفعاله. كما أنه يشكّل موقفه تجاه الناس والحياة، ويدفعه إلى مقابلة بعض الناس وتجنّب آخريّن، وإلى ممارسة بعض الأنشطة والابتعاد عن أخرى.

ويُعدّ انعدام الأمان سيّدًا قاسيًّا، لأنّه يتغذّى على الخيال والشكّ ويفترض الأسوأ. إنّه يرافقنا في كلّ مكان نذهب إليه، فيهمسُ أحيانًا، ويصرخُ أحيانًا أخرى، ويدفعُ تارةً، ويلوّح بالسّوط طورًا، ويضحكُ حينًا، ويعدّبُ حينًا آخر. إنّه لا يفارقنا، بل يتبعنا حتّى إلى الفراش، ويقضُّ مضجعنا، ويستعدُّ منتظرًا إيانا في صباح اليوم التالي.

إنّ انعدام الأمان يستعبد الناس وهو يتعارض مع المحبّة. فالشّخص الذي يخشى الرّفْض يجدُ صعوبةً في الرّافة بالآخريّن، لأنّه منشغل بالأخذ أكثر من العطاء. وهو لا يعرفُ إلا القليل عن فرح العطاء، أي فرح القيام بشيء لطيف. فبالنسبة إليه، ما العطاء سوى وسيلة للأخذ.

سوف ننظر لاحقًا إلى المحبّة القادرة على تحرير القلب المرفوض. أمّا الآن فنحن بحاجة إلى إدراك أنّ عقليّة الرّفْض تسلبُ الإنسان تلك الحرّيّة وذلك الفرّح. وما نشير إليه هنا هو أنّ مشكلةً أساسيّةً في الرّفْض هي انعدام الأمان الذي يردعنا عن محبّة الآخريّن.

عندما يكون انعدام الأمان هو المحرّك، فإنّه يدفعنا إلى محاولة تحديد مَنْ نحن، أي أن نخبر عن هويّتنا، ونثبت أنّنا حقًّا هذا الشّخص ولسنا شخصًا آخر.

## ألم الرّفص ونعمة القُبول

وتكون النَّتائج أحيانًا مثيرةً للشَّفقة، ومضحكة في أحيانٍ أخرى، ولكنّها ليست مشبعةً أبدًا. وتختلف وسائل تحديد هويّتنا، ولكنْ غالبًا ما نستعينُ ببعض السُّلوكيّات أو النّشاطات أو المواهب أو الممتلكات أو المساعي لنثبت أنّنا أشخاصٌ مهمّون. (يصفُ البعض هذا بأنّه "إيجاد" أنفسهم).

إنّ تحديد هويّة النّاس مرتبط بما يفعلونه ويقولونه، والمنصب الذي يشغلونه، وشكلهم الخارجي، وما إلى ذلك، وهذا كلّ كان منتشرًا عبر التّاريخ. ويبدأ من الأمور السخيفة إلى الأمور النّبيلة، ومن أنماط الحياة الخاطئة إلى أنماط الحياة المضحيّة. إنّ بايب روث، وبيل غيتس، وألبرت أينشتاين، وأدولف هتلر، والأمّ تيريزا، وبيلي غراهام، يتمُّ التعريف عنهم دائمًا وفق الإنجازات البارزة التي قاموا بها، ووفق الأقوال التي نطقوا بها، والتي جعلتهم إمّا مشهورين أو سيّئي السّمعة. ولا نخطئ عندما نجعل سلوكنا يعرّفنا. فهذا ما يفعله البشر (لم يقصد أن تكون الأسماء المذكورة أعلاه أمثلة عن أشخاص افتقدوا الأمان، بل القصد منها هو إظهار مدى ارتباط السُّلوك بالهويّة). ومع ذلك، إنّ أمرٌ خطيرٌ أن نأخذ هويّتنا على عاتقنا ونسعى لتحديد مَنْ نحن بجهودنا الخاصّة. وإن فعلنا ذلك، سوف نكتشف أنّنا كرّسنا حياتنا بحماقة في سبيل أشياء لا تهّم حقًا.

عندما يحركُ الرّفص هذا الشّوق الإنساني لاكتشاف هويّتنا وتحديدّها، نصبح عرضةً للتصرّف بحماقة لتحقيق هذه الغاية. إنّ شباب اليوم الذين يفتقدون إلى الأمان يستمتعون عمدًا بالاختيارات الشّاذة، وارتداء الملابس المسيئة، واستخدام لغة مروّعة، مُعلنين ما هم عليه وما ليسوا عليه. وعندما يكبرون قليلًا، قد يشتركون سيّارة أو منزلًا، أو يمارسون مهنةً للسبب نفسه. وقد يظنّون أنّ رفض أهلهم لهم لم يعد يحركهم، لكنّه في الحقيقة لا يزال يفعل ذلك.

حانَ الوقت الآن للتوجّه نحو بعض الحلول لمشكلة الرّفص هذه.

## أسئلة الدراسة

١. حدّد ثلاث مشاكل أساسية متعلّقة بالرفض وتمّت مناقشتها في هذا الفصل، ثمّ لخّص كلّاً منها.
٢. صِف بدقّة شديدة كيف جعلك الرفض تشعر من جهة نفسك.
٣. أعطِ بعض الأمثلة عن "التحدّث مع الذات" الذي انخرطت فيه. ما مدى سلامة نظرتك إلى نفسك؟
٤. هل من مجالات في حياتك تشعر فيها بالكفاءة، وأخرى تصارع فيها شعورك بالنقص أو بانعدام القيمة؟ إذا كان الأمر صحيحاً، صِف أفكارك.
٥. في الصفحة ٤٥ نقرأ: " فقد بلغت مرحلة حرجة حيث يبدو كل ما يؤلم سيئاً، وكلّ مَنْ يلمس جرحي هو ضديّ." بماذا يشبهك هذا التصريح؟
٦. في الصفحة ٤٦، تجد قائمةً بأنماط التفكير التي تتوافق مع عقلية الرفض. أيّ منها يناسب حالتك؟ أو هل راودتك أفكارٌ مماثلة؟
٧. بأية طرق وجدت نفسك تستقرئ الرفض في تعليقات الآخرين أو تصرفاتهم، في حين أنهم لم يقصدوا أيّ رفضٍ؟ أو كيف اختبرت الآخرين يفعلون ذلك بك؟
٨. هل تدلي بتصريحات تدفع الآخرين إلى التعبير عن قبولهم لك؟ (قد يكون مفيداً لك أن تسأل شخصاً تثقُ به وحتى أن تدعه يقرأ الأمثلة في الصفحة ٥١).
٩. حاول أن تقيّم كيف أثر الرفض على علاقاتك مع الآخرين. ما مدى القرب الذي تسمح به للآخرين؟ هل اتخذت أيّة قرارات واعية بالأ تشارك بعض المشاعر أو الخبرات مع أيّ شخص؟ كيف تقيّم سلامة قدرتك على التقرب من الآخرين؟

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

١٠. إلى أيّ مدى أعاقكَ خوفكَ من الرّفص عن الانخراط في الخدمة؟ أو كيف شكّل الطُّرق التي تخدم بها (أو لا تخدم بها) الآخرين؟

١١. انظر مجددًا إلى قائمة الأشخاص في الصّفحة ٥١. والآن فكّر في حياتك الخاصّة وفي ما يحركُك. هل من شيء (مثل نشاط، أو موهبة، أو مقتنى) كنت تستخدمه لتثبّت هويّتك؟ كنّ على استعداد للنظر حتّى في الأمور الحسنّة، مثل الخدمة المسيحيّة أو كونك "روحياً". وبحسب تقييمك، هل كان هذا "الأمر" سليماً أم غير سليم في حياتك؟ وإلى أيّ مدى حرّك الرّفص أو الشّوق إلى إثبات نفسك من خلال هذا النّشاط؟

## الفصل هـ

### تغيير في التمرکز

رأينا في الفصل الأخير كيف يزيد الرفض التمرکز حول الذات المتأصل في جميع البشر. فنحن نريد أن تسيّر أمورنا بطريقتنا الخاصة، ويسوؤنا ألا نحصل على ما نريد. لكن التعامل مع الرفض ليس بسيطاً كمجرد القول إن جميع رغبات الأشخاص المرفوضين أنايية.

دعونا نتخيّل إنساناً يتضور من الجوع. وفي حالة الجوع تلك، تتم دعوته إلى العشاء مع آخرين يجلسون لتناول وجبة المساء المعتادة. لنفترض أن هذا الرجل ملأ صحنه بأكوام من الطعام دون أن يحسب حساب الباقين الجالسين حول الطاولة. كيف سننظر آنذاك إلى تمرّكه حول ذاته؟

نعم، سنقرّ بالطبع بأنه أناني، لكننا سنراعي أيضاً حالته. فهو ليس جائعاً فحسب، بل إن حاجته إلى الطعام تفوق احتياجات الآخرين. صحيح أننا لن نبرّر تصرفاته الأنايية على الطاولة (مثل تشهير سكّينه على كل من يلمس الطعام)، لكننا على الأرجح سنتغاضى عن قدر من الأنايية، آخذين بعين الاعتبار احتياجه الشديد. وسوف ندرك أن هذا الرجل الذي يتضور جوعاً لا تحرّكه رغبته فحسب، بل احتياجه الشديد أيضاً.

## ألم الرِّفْضِ ونعمة القُبُولِ

من الصَّائب أن ننظر بالطريقة نفسها إلى أولئك الذين اختبروا الرِّفْضَ الشَّدِيدَ. ينبغي لنا ألا نوافق تلقائياً على طرقهم الأنايَّة، بل أن نتفهَّمهم ونحتلمهم فيما نساعدهم على التَّعامل مع فراغهم. تعوِّزنا رَأْفَةُ يسوع وحكمته بينما نقتادهم إلى قبول المحبَّة بطرق سليمة، وتمييز عاداتهم الأنايَّة، والتحوُّل منها إلى أساليب تفاعل تراعي مشاعرهم.

دعونا نتوسَّع أكثر في تشبيه الإنسان الجائع كي نتَّخذ زاويةً أخرى من تأثير الرِّفْضِ على النَّاسِ. إذا نشأ شخصٌ ما وهو يشعرُ بالجوع باستمرار، قد يطورُ بسهولة عادات أكل ترافقه حتَّى لو تحسَّن وضعه. فمثلاً، كان كاتب القرن الثامن عشر، الإنكليزي الشهير صمويل جونسون، معروفاً بين أصدقائه المقرَّبين بشراسته. فقد نشأ فقيراً، وعلى الرغم من البحبوحة التي عرفها لاحقاً، إلا أنَّه استمرَّ يأكل بنهم شديد ويُحرِّجُ الذين من حوله.

إنَّ أولئك الذين عانوا الرِّفْضِ لا يَعُونُ غالباً أنَّهم معتادون جدًّا على إنشاء علاقات بطرقٍ متمركزة حول ذواتهم. نكرُّ: هذا لا يبرِّرُ سلوكهم الخاطي، إنَّما يعني أنَّ ما قد يكون واضحاً بالنسبة إلينا قد يكون بالنسبة إلى الشخص المُراقَب مُبهِّماً. وهذه العادات يصعبُ تغييرها، لذلك نحتاج إلى المحبَّة والنُّعمة معاً للقيام بذلك.

### الأمر المهمُّ حقًّا.

كما رأينا، يحثُّنا الرِّفْضُ على التَّفكير بأنفسنا، ونور هذا التَّفكير الخافت يجعلنا نرى تقريباً كلَّ شيء آخر بشكل خاطئ. فنرى في الآخرين إمَّا أصدقاء وإمَّا أعداء (وفي الغالب أعداء)، وننظرُ إلى ظروفنا باستياء. كما أننا ننظر إلى الفرص آخذين في عين الاعتبار مدى تأثيرها علينا نحن شخصياً. وقد ننظرُ حتَّى إلى الله بشكٍّ أو بأسوأ من ذلك.

لذلك نحتاج في هذه المرحلة أن نَصَّعَ الأمور في نصابها الصَّحيح. لا أقصدُ بذلك أن أقلل من شأن المعاناة الإنسانيَّة. فإذا رُفِضَ الإنسان من عائلته سيُشعر

حقاً بحزن عميق. وكذلك الأمر إذا فقد المرء كل ممتلكاته، أو فقد بصره أو سمعه، أو اختبر الانفصال في الزواج. لكن هذه المآسي ليست أسوأ ما قد يصيبنا.

إنَّ المأساة الكبرى التي يختبرها البشر هي الابتعاد عن الله.

نحن مصمّمون لنعيش في شركة مع الله. لكنَّ الخطيئة دمّرت تلك الشركة. ومُنِع البشر من التّواجد مع الله، ليس لأنَّ الله لا يحبُّنا، بل لأنَّ البشر الخطاة لا يحتملون ببساطة العيش في حضرة الله القدّوس.

المسيح هو مصالحتنا مع الله. به ننالُ غفران الخطايا، ونعودُ إلى سُبُل البرِّ أي السُّلوك في طُرُق الله. وبه نتصالحُ مع الله، ونستعيدُ شركتنا معه، ونستردُّ العلاقة القائمة بيننا حيث أرواحنا تكسر خبزاً مع روحه، وحيثُ يصبح السَّير مع الله، والتحدُّث إليه، وعبادته أسلوبَ حياة.

ومأساة الأنايئة هي أنها تجعلنا نبتعد عن الله. فغرقنا في البؤس لسنواتٍ بسبب إساءات الآخرين إلينا هو خطيئة حتمًا، لكنَّه أيضًا مأساة إلى أبعد حدود. كان حريًّا بنا أن نقضي تلك السَّنوات في روعة ومجد معرفة الله.

فأعظم مأساة في الحياة البشريَّة هي الابتعاد عن الله. وفي المقابل، إنَّ أعظمَ نعمة يمكن تصوُّرها هي التّصالح مع الله من خلال ابنه يسوع المسيح.

وبالنسبة إلى الأشخاص الذين تعرّضوا للرفض، يزيد خطرُ الابتعاد عن الله. فقد يدفعهم جوعهم للحبِّ والقبول، إلى اللُّجوء إلى أشياء خاطئة لملء الفراغ. مثلاً رضا الآخرين، والموهبة، والممتلكات، والمنصب، والعلاقات غير الأخلاقيَّة، والمخدِّرات، والموسيقى، وحتى الخدمة المسيحيَّة. والقائمة تطول لأنَّ قلب الإنسان الذي لم يملأه الله، قد يحوّل أيَّ شيء تقريباً إلى صنم، ويسمح له أن يشغَلَ المكان المُخصَّص لله وحده.

وليس الرِّفْضُ الحالةُ البشريَّة الوحيدة التي تشوُّه رؤيتنا، وتحجبُ ما هو مهمُّ حقاً. إنّما يمكن للهوموم، أو الأحزان، أو المعاناة، أو الخسائر أن تفعل ذلك أيضًا.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

وربّما الأمر المستغرب أكثر (لا سيّما لأولئك الذين يعيشون في ضائقة) هو أن تقوم الثروة، والمنصب، وحتى رضا الناس، هذه جميعها التي يربوها المرفوضون، بحجب حاجتنا الماسّة إلى الله. فتحلّ هذه "النعم" محلّ الله وتستحوذ على تكريس القلب بالكامل.

ذات يوم، كان يسوع في منزل أصدقائه المقرّبين. فارتبكت مرثا بإعداد الطعام، وهذه مهمّة مشروعة، لكنّها أُعطيت أولويّة خاطئة. أما مريم فجلست عند قدمي يسوع تصغي إليه. ففي هذا الوضع العادي، أوضح يسوع ما نغفل عنه بسهولة. فقد قال ما يعني بكلماتنا: "مرثا، أنت متوتّرة بسبب كمّ المهامّ التي يجدر بك إنجازها. لكن لا بدّ لأمر واحد فقط أن يأخذ هذا الحيز من الاهتمام، ومريم قد ركّزت عليه" (انظر لوقا ١٠: ٤١، ٤٢).

على غرار مرثا، قد تلهينا واجبات كثيرة عن الشّركة مع الله، وكذلك مآسٍ كثيرة، بما فيها الرّفص. وقد تلهينا حتّى العقيدة القويمة.

بالنسبة إلى البشر، هناك شيء واحد تفوق أهميّته كلّ شيء آخر وهو: محبة الشّركة مع الله من خلال المسيح. إن لم نفهم ذلك، ستربنا باستمرار "الأشياء الكثيرة" التي تبقينا مشغولين، والتي تبدو غير عادلة، وتحدث باستمرار، وينبغي لنا وضعها في نصابها، والتحدّث عنها مع شخص ما، ولا يفهمها أحد، وتعوّقنا عن "الشيء الوحيد" الذي يهّم حقًا.

## اللّجوء إلى الله يمنحنا تمرکزًا جديدًا.

يسوع هو جائزة القلب التي ينالها كلّ من يلجأ إلى الله. عندما فكّر بولس في إنجازاته في الأوساط الدينيّة اليهوديّة، قال: "لكنّ ما كان لي ربّحًا فهذا قد حسبتّه من أجل المسيح خسارَةً. بلّ إنني أحسب كلّ شيء أيضًا خسارَةً من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كلّ الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه" (فيلبي ٣: ٧-٩).

لربّما كان بولس متديّنًا وأنائيًا، لكن لم يكن ممكنًا أن يختبر المسيح بحقّ بينما يبقى متمركزًا حول ذاته. وعندما وجد يسوع، خسر كل ما كان يعيش من أجله، ولكنها كانت نعم الخسارة. فقد اعتبرها نفايةً مقارنةً بحلاوة يسوع.

ثمّ عاش بولس ليعرف المسيح أكثر. فقد كتّب في الرسالة نفسها قائلاً: "لِي الْحَيَاة هِيَ الْمَسِيحُ" (١: ٢١). كان يسوع بالنسبة إلى بولس السبب الرئيسي للعيش. فقد عاش هذا الأخير ليُرّضي الرب يسوع، ويحبّه، ويعبده، ويخدمه، ويتبعه، ويعلن عنه.

أيًا كان مركز حياتنا فإنّه ينظّم أفكارنا، لأنّ أفكارنا تدور حول الغرض أو الشّخص الذي يشغل محور قلبنا. ويشير الكتاب المقدّس إلى هذا باسم "الكنز" (متى ٦: ٢١) أو بـ "اهتمامنا" (كولوسي ٣: ٢). نحن نفكّر في الشيء الذي يستحوذ على اهتمام قلبنا وتكريسه ونخطّط له ونشعر بأحاسيس عميقة متعلّقة به.

يشكّل تمركزنا طموحاتنا. فنحن نبحث عن طرق للحصول على الشّيء الذي يشغل مركز قلبنا، والاقتراب منه، وقضاء المزيد من الوقت معه، وتنميته، وتطويره. كما أنّنا نطلبه، ونحبّه ونرجو المزيد منه.

عندما تكون ذاتنا هي مركز حياتنا، نفكّر في المزيد لأنفسنا ونخطّط له ونطلبه ونرجوه. ولكن عندما يكون يسوع هو مركز حياتنا، فإنّنا نفكّر في المزيد من يسوع ونخطّط له ونطلبه ونرجوه.

حتى الآن، وضعتُ الذات والرب يسوع بعضهما مقابل بعض، وبيّنت أنّ كلّاً منهما يستبعد الآخر. وهما في النهاية يفعلان ذلك حقًا. فعند إتمام كل شيء، سوف تكون إمّا لصالح الذات أو لصالح يسوع، وإمّا منهنك أو منهنك في يسوع، وستبقى إلى الأبد إمّا مع نفسك وإمّا مع يسوع.

بحسب خبرة الشّخص المتمركز حول المسيح، تبقى دائمًا مركزيّة يسوع متنافرة مع ميول الذات الغاصبة. فالذات تريد دائمًا أن تفرض نفسها، وتقاوم

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

باستمرار خلعتها عن العرش. أمّا الإنسان المتمركز حول المسيح فقد يطلب على نحوٍ مميّز مجدّ الله ويسعى لخير ملكوته. لكنّه قد يستسلم في وضعٍ معيّنٍ لاقتراحات الذات المغرورة ويتصرّف بشكلٍ يُخالف تمركزه حول المسيح. هذا لا يعني أنّه يركّز على نفسه ككلّ، بل أنّه في تلك اللحظة أو في هذا الموقف بالذات، أعطى الأسبقية لرغباته وطموحاته الخاصّة.

إنّ استمرّ الشّخص المتمركز حول المسيح بهذا، قد يخدم الكنيسة مضمحياً بنفسه، ولكنّه قد ينجرفُ مع الوقت نحو التّمركز حول الذات. فقد ترهقه التّضحية بالنفس، أو قد يبدأ بمقارنة خدمته بخدمة الآخرين، أو يبدأ بالاستياء من الناس لأنهم لا يقدرّون مساهمته. وقد يواجهُ إلى جانب ذلك بعض الانتقادات الظّالمة، وقد يقابلُ حتّى رفضاً من النّاس الذين احترموا سابقاً. وقد يدفعه هذا، إلى جانب الجحود وتعب سنوات الخدمة، نحو مستوى غير معهود من الأنانيّة في معظم خدمته.

يبدو لي أنّ الله يربّب هذه الطّروف في حياة قادة الكنيسة أو المبشّرين أو الخدّام ليواجههم بهذا السّؤال الحاسم: "هل أنا هنا من أجل ذاتي أم من أجل يسوع؟" الرّفص هو أحد الطّرق التي يتمُّ بها امتحان خدّام الله. إنّ القائد الذي اختبر الرّفص سوف تحرّضه ذاته على إبداء ردود أفعال غير حكيمة. لقد استوضحنا عن هذا في الفصل ٣، ولكن لإظهار التّباین مع مركزيّة المسيح، دعونا نراجع بعض ردود الأفعال التي يُبديها القائد المتمركز حول نفسه.

يكون القائدُ عرضةً للقيام بما يلي:

- ❖ أن يكون قاسياً أو وقحاً في ردّه على النّقد.
- ❖ الاستقالة (أو وضع منصبه على المحكّ) بهدف فرض وجهة نظره أو ترك الجماعة أو الخدمة في حالة فوضى.
- ❖ الاستجابة إلى المخاوف أو النّقد بالإشارة إلى أخطاء أولئك الذين أتوا إليه.

- ❖ محاولة إلزام أسرته وأصدقائه المُخلصين بتأييده.
  - ❖ استخدام الذموم والقصص لكسب التعاطف أو الذم.
- في المقابل، نجد أن القائد الذي يضع أمانه في يسوع، ويرفض السماح لذاته بقيادة حياته، يُبدي ردود أفعال مختلفة. وقد برهن الرسول بولس على ذلك في حالات عديدة، وأوضحها كان في ردوده على كنيسة كورنثوس.
- ❖ رفض السماح للناس بالتجمع من حوله لمعارضة قائد آخر.
  - ❖ عندما تم التشكيك برسوليته، تعامل مع الأمر بكل تواضع. واعترف بأنه لا يستحق أن يدعى رسولاً، ولكنه استراح أيضاً عالماً أن الله قد دعاه ليكون رسولاً.
  - ❖ قبل الألم الناجم عن الرفض معتبراً إياه تأديباً استخدمه الله لإبقائه متضعاً وقابلاً للاستخدام.
  - ❖ بارك أولئك الذين اتهموه وتصرف بشكلٍ يصب في مصلحتهم العليا.
  - ❖ أبقى خير الكنيسة نُصب عينيه، قبل سمعته الشخصية أو مصالحه.
  - ❖ ظل يركز الأكثر على أن مجده ومجد الكنيسة هما في يسوع.
- لم ييأس بولس، وقد أعلن أنه لا يمكن أن ينطرح طالما أنه ممجد في يسوع. من المؤلم طبعاً أن يتهمه الناس، ويستخفوا به، وينشروا أخباراً كاذبة عنه. لكن بالنسبة إلى بولس، لم يكن رأي الناس به مهماً بقدر ما كان رأيهم بيسوع. وقد حزن جداً عندما رأى أن شركاءه المؤمنين ابتعدوا عن يسوع بمجرد أن توقفوا عن مساعدته. كان يسوع محورياً في تبشير بولس، وفي كل ما حدث خلال حياته وخدمته.

في رسالته إلى كنيسة أخرى، حيث تعرض للضرب والسجن، قال الرسول بولس: "لكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أسرُّ

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

وَأَفْرَحُ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ" (فيلبي ٢: ١٧). بدأ لبولس أن تقدّم حياته وخدمته في الكنيسة كحرقّة هو امتيازٌ وشرف، وسببُ فرحٍ عظيم، حتّى لو اختبر ذلك بدموع كثيرة.

إنَّ الشَّخص الذي عند تعرُّضه للأذى لا يرضى إلا أن يردَّ بأنايَّة، والذي يدافع عن نفسه من خلال ردود أفعاله، تغيب عن نظره بالتأكيد مركزيَّة يسوع. إنَّ الامتحانات التي يسمَحُ بها الله في حياة خدامه ليس القصد منها أن تؤذيهم، إنّما أن تبقي قلوبهم نقيَّة وتحفظهم من جعل خدمتهم تتمحور حول أنفسهم. إذا رَفَضْنَا أولئك الذين لطالما أحببناهم وضحَّينا بحياتنا من أجلهم، نشعرُ بجُرْحٍ لا تداويه سوى حلاوة يسوع.

يجب على الرّجل أو المرأة أن يبديا استعدادًا لقبول الرّفص من أجل يسوع وخير الكنيسة، ويستمتعا إلى كلِّ ما هو ظالم في حقّهم من دون إبداء أيّة ردود أفعال حادّة، ويجلسا في المقعد الخلفي بدلًا من اعتلاء المنبر، أو يقبلا مراكز مسؤوليَّة أخرى إن كان ذلك يصبُّ في مصلحة الكنيسة العليا. إذا كانت حياة الخادم مستمدّة حقًا من يسوع، سيفعل ذلك بدون روح المرارة. لا أحد يستطيع أن يمنحنا هذا النّوع من النّعمة سوى يسوع، وقد قَبَلَهَا بولس وتمجّد فيها وهذه النّعمة نفسها متاحة لنا اليوم.

## إجراء التحوُّل.

كلُّ هذا رائعٌ كما يبدو. بل وأكثر، في الواقع! لكن كيف نتحوّل من التّمرکز حول ذواتنا إلى التّمرکز حول يسوع؟ كيف نتقلُّ من الاهتمام بالأنا، والتّرويج لذواتنا، وطلب كلِّ شيء لأنفسنا، ومحبة أنفسنا مهما كان الثمن، للاهتمام بيسوع، والتّرويج له، وطلب كلِّ شيء له، ومحبتّه من كلِّ قلبنا؟

الإجابات صعبة وسهلة في آنٍ معًا.

قال الرّب يسوع: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ

وَيَتَّبِعُنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا"  
(متى ١٦: ٢٤، ٢٥).

إنَّ اتِّبَاعَ يَسُوعَ يَدْعُونَا إِلَى إِجْرَاءِ تَحَوُّلٍ كَامِلٍ أَوْ مَنَعُطٍ رُوحِيٍّ. يَصِفُ الْقَسُ كَيْنِ مِيلِرِ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوْبَةِ قَائِلًا: "إِنَّهُ تَسْلِيمُ حَيَاتِنَا تَسْلِيمًا كَامِلًا لِيَسُوعَ ... لَيْسَ هُوَ مَجْرَدُ تَوْبَةٍ عَنِ الْعِيُوبِ الْخَفِيَّةِ فِي الشَّخْصِيَّةِ وَعَنِ بَقَايَا الْأَنْمَاطِ الْخَاطِئَةِ، بَلْ هُوَ تَخَلُّ كَامِلٍ عَنِ الذَّاتِ. عِنْدَهُ يَتَحَوَّلُ الشَّخْصُ مِنْ خِدْمَةِ نَفْسِهِ وَمَمْلَكَةِ هَذَا الْعَالَمِ، إِلَى تَسْلِيمِ نَفْسِهِ بِشَكْلِ حَاسِمٍ لِلْمَسِيحِ وَمَلَكُوتِ اللَّهِ. وَمِثْلَ هَذَا الشَّخْصِ قَدْ سَبَّتُهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْجُلُوسِ إِلَى الطَّائِلَةِ وَتَوْقِيعِ شُرُوطِ الْاِسْتِسْلَامِ"<sup>١</sup>.

أَنْ يَكُونَ يَسُوعُ مَرْكَزَ حَيَاتِنَا يَعْنِي أَنْ نَتَخَلَّى عَنِ مَكَانِنَا. لَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ سَهْلًا، لَكِنَّهُ لَيْسَ مَعْقَدًا. فَلَا يُفْتَرَضُ مَنَّا الْقِيَامُ بِخَمْسِ خَطَوَاتٍ وَلَا عَشْرِينَ خَطْوَةً، إِنَّمَا خَطْوَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ. قَدْ نَسَمَّيْهَا تَسْلِيمًا أَوْ مَوْتًا أَوْ إِنْكَارَ النَّفْسِ، لَكِنَّا نَعْنِي بِهَا بِبَسَاطَةِ السَّمَاحِ لِيَسُوعَ أَنْ يَكُونَ رَبَّنَا وَمَخْلَصِنَا.

نَحْنُ نَتَخَلَّى عَنِ خَطَطِنَا الْخَاصَّةِ بِحَيَاتِنَا وَنَدْعُو يَسُوعَ لِيَرِينَا خَطَّيْنَاهُ. وَلَا نَعُودُ نَصْرُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأُمُورِ بِطَرِيقَتِنَا الْخَاصَّةِ فِي أَيِّ ظَرْفٍ كَانَ، بَلْ نَصَلِّي: "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ". وَنَثَبِّتُ قُلُوبِنَا نَحْوَهُ، أَيَّ نَسْعَى لِنَعْرِفَهُ وَنَخْصِّصُ حَرْفِيًّا وَقْتًا لِلتَّحَدُّثِ مَعَهُ، وَقِرَاءَةِ قِصَصِ الْإِنْجِيلِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى تَعَالِيمِهِ، وَالْبَحْثِ عَنِ طَرِيقِ لِنَعِيشِهَا. وَنَقْضِي وَقْتًا فِي الْعِبَادَةِ شَاكِرِينَ إِيَّاهُ عَلَى شَخْصِهِ وَعَلَى الْعَمَلِ الَّذِي قَامَ بِهِ، وَنُؤَيِّدُ كَلِمَاتِهِ وَأَعْمَالَهُ، وَنَصَدِّقُ مَا يَقُولُهُ. كَمَا أَنَّ نَدْعُوهُ لِلْعَيْشِ فِي قُلُوبِنَا، وَالتَّحَدُّثِ مَعَنَا بَيْنَمَا نَمْضِي فِي إِتْمَامِ مَهَامِنَا الْيَوْمِيَّةِ، لِيَكْشِفَ لَنَا مَا يَرِيدُنَا أَنْ نَفْعَلَ. وَنَأْتِي إِلَيْهِ بِمَشَاكِلِنَا، وَنَكَلِّمُهُ عَنِ احْتِيَاجَاتِنَا وَضَعْفَاتِنَا، وَنَأْتِي إِلَيْهِ بِاحْتِيَاجَاتِ الْآخَرِينَ وَمَشَاكِلِهِمْ، وَنَسْأَلُهُ كَيْفَ يَرِيدُنَا أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الشَّخْصِيَّاتِ الصَّعْبَةِ الْمَرَّاسِ.

١ مقتبسة عن

David Bercot in *Secrets of the Kingdom Life*, (Scroll Publishing: Amberson, Pennsylvania), 2014, p. 35.

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

يسوع هو القائد الأعلى في ملكوت الله، الذي هو سلطان الله على الأرض، حيث يسمو شعب الله فوق جميع ممالك الأرض منفذاً مقاصد الله. وعندما نتمركز حول يسوع بدلاً من التمرکز حول أنفسنا، يصبح هدفُ حياتنا تحقيقَ مقاصد الله، وتمجيده، ومحبتّه. وإذا طلبنا ملكوت الله أولاً، تصبح الحياة أفضل بكثير ممّا توقعنا.

هناك فرقٌ شاسع بين العيش في البؤس المستمرّ بسبب التعرّض لآزدراء الآخرين ورفضهم، والعيش في ترقّب مستمرّ لفعل مشيئة الله باسم يسوع. إنّ التحوُّل من الذات إلى يسوع هو تحوُّلٌ جَدْرِي، ينيّر البصيرة، ويغيّر الحياة!

عندما يحدثُ التّغيير، نتساءلُ كيف أمكّننا الانشغال بأنفسنا كلَّ تلك المدّة الطويلة، وافتعال مشاكل كبيرة بسبب طموحات قصيرة النّظر. أنا لا أقصد القول إنّ تجربة الرّفص تافهة، لكنّها تحصر تركيزنا في أهداف قصيرة النّظر جدّاً، ومسائل تافهة جدّاً. يمكننا مثلاً أن نركّز كلَّ طموحنا على جعل الآخرين يحبُّوننا، أو على الانتقام من شخص أساءَ إلينا، أو على محاولة التميّز في بعض المهارات لكسب التقدير، أو على امتلاك أفضل منزل في الحيّ.

عندما نتقابلُ مع صلاح يسوع وحقيقته، نرى هذه الأهداف على حقيقتها، أي أنّها متمركزة حول أنفسنا ولا تستحقُّ الجهد والاهتمام والموارد التي نمدها بها. أمّا يسوع فيمنحنا الكثير لنعيش من أجله، مُساهمين في تقدّم ملكوته، وجبر مكسوري القلب، وخدمة المحتاجين، ونشر أخبار يسوع السارة، وتمجيد الآب. نحن بحاجة حقاً إلى أن نعيش لأكثر من أنفسنا، والرّب يسوع يدعونا لنبدأ من الآن بعيش الحياة الأبدية واختبار فرحها.

### أسئلة الدّراسة

١. "المأساة الكبرى التي يختبرها البشر هي الابتعاد عن المسيح". بينما تتأمل ملياً في هذا التصريح، فكّر في أصعب تجربة (مأساة) واجهتها. هل يجعل

هذا التصريح ما اختبرته يبدو سخيًّا؟ هل يساعدك على النظر إلى ما اختبرته بموضوعية؟ أخبرنا بما تفكر.

٢. كيف ساهمت تجربتك مع الرفض في زيادة صراخك مع التمرکز حول الذات؟

٣. إذا أمكنك اختصار حياتك في مشهد واحد مثل مشهد مريم ومرثا، هل ستشبهه مريم أم مرثا؟ إذا كان يسوع ينظر إلى طريقة عيشك هل سيقول: "\_\_\_\_، أنت تهتم وتضطرب من أجل أشياء كثيرة"؟ أم سيقول: "\_\_\_\_، لقد حفظت تركيزك على الأمر الواحد المهم حقًا؟

٤. ماذا يعني لك يسوع؟ حاول أن تصف بأدق شكل ممكن، ما في قلبك من نحوه، ولا ما تعرفه عنه (مُستخدماً كل التعبيرات المناسبة).

٥. اذكر الطرق التي تستخدمها للبحث عن يسوع والتفاعل معه. ثم تأمل بالأُسئلة التالية: هل علاقتك بالله هي كما تتمناها؟ وكيف تريد أن تتغير؟

٦. ما كان أعظم عائق أمام تعميق علاقتك بيسوع، وجعله مركز حياتك؟ خذ وقتك للإجابة بشكل دقيق وشامل. ليس القصد من السؤال جعلك تشعر بالإدانة، بل توحي الصدق والوصول إلى أصل الذات. أحضر هذا إلى يسوع وضعه عند قدميه. اسأله ماذا يريد منك أن تفعل.

٧. كيف واجهت الرفض في القيادة؟ (قد تكون في قيادة الكنيسة أو عضواً في لجنة أو والداً). كيف استجبت للتحديات التي واجهتك في القيادة؟ وكيف استجبت للنقد؟ بعد التفكير في الحفاظ على مركزية يسوع في مثل هذه المواقف، ما الذي يمكنك أن تفعله بشكل مختلف؟

٨. تقدّم الآيات التالية أوصافاً تعبديّة لیسوع. قد ترغب في التأمل بها، أو حفظها، أو إعادة صياغتها بكلماتك الخاصة النابعة من القلب:

أ. الَّذِي، وَهُوَ بِهَاءٍ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي

## ألم الرّفص ونعمة القبول

الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم" (عبرانيين ١: ٣، ٤).

ب. "فاذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار. لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين ٤: ١٤-١٦).

ج. "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوون فيه، الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان" (كولوسي ٢: ٩، ١٠).

## الفصل ٦

### مقبولٌ في الحبيب

نحن بطبيعتنا متمرکزون حول ذواتنا، ونرى الحياة من خلال عدساتنا الشَّخصيَّة، وغالبًا ما نتوقَّع من العالم، عن وعي أو دون وعي، أن يفهم الأشياء كما نفهمها نحن، ويتَّفَق مع رغباتنا واحتياجاتنا وخططنا. والرَّفْض يزيدُ من هذا التَّمركز الذاتي الطَّبيعي، لأنَّه يُبرز احتياجاتنا، ويكثِّفُ مطالبنا الموجهة إلى الله والآخرين.

إنَّ تحوُّلَ تَمركزنا من ذواتنا إلى يسوع هو تحوُّلٌ جذريٌّ إنَّما ضروريٌّ. فعندما يصبح يسوع مركز حياتنا، نحيا في اتِّحادٍ معه، فيحيا فينا ونحيا فيه. وبهذا نتيقَّن اختبارياً أنَّ يسوع حيُّ اليوم، وأنَّه في الغرفة معنا، وقادرٌ على التحدُّث والإصغاء إلينا، وأنَّه بإمكاننا إنشاء علاقة حقيقيَّة معه كأية علاقة مع صديقٍ من لحمٍ ودم.

نودُ في هذا الفصل أن نستكشفَ بالكامل قبول الله لنا، بناءً على اتِّحادنا الرُّوحي بيسوع. الله يقبلنا بالكامل، ويضمُّنا إلى قلبه. وكما أنَّ العلاقة معه هي العلاقة الأهمُّ في حياتنا، كذلك قبوله هو القبول الأهمُّ، ورفضه هو الرَّفْض الأهمُّ. إنَّ مواجهة رفض البشر أمرٌ مؤلم، لكنَّه ليس أسوأ رفضٍ نختبرُه. من الرَّائع أن تكون مقبولاً من البشر، لكنَّه ليس القبول الأروع على الإطلاق. فبغض النظر عمَّا إذا كُنَّا مقبولين أو مرفوضين على الأرض، يجدرُ بنا في النهاية أن نجدَ أنفسنا مع الله.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

والمشير للسخرية أنّه عندما تصالح بولس مع الله من خلال يسوع، انتقل من القبول إلى الرّفص بين أقرانه. فأولئك الذين مدحوه يومًا بسبب غيرته اليهوديّة، هدّدوا حياته في النهاية بسبب تكرّسه للمسيح. وانتقل من كونه الرّجل الأعلى شأنًا، ليتصدّر قائمة المطلوبين. وقد تعرّض للضرب، والمطاردة، والسّجن، والسّخرية، والاتّهام زورًا، ورفضه اليهود رفضًا تامًا.

لكنّ بولس حصل على القبول الأهمّ. فقد أصبح ينتمي للآب في السماء. وقد استقبله الله، وقبّله بشكلٍ عوّضه جدًّا عن الطرد الذي تعرّض له من أقرانه. لذا نرغبُ باستكشاف قبول الله هذا، وسبب غوره، لأنّه سرُّ التّعامل مع رفض النّاس هنا والآن.

### قبول الله لنا يعتمد كليًّا على اتّحادنا بيسوع، ابن الله.

كي نفهم هذه الحقيقة، لا بدّ من النّظر أولًا إلى العلاقة القائمة بين الآب والابن. كانت إحدى الخصائص البارزة في خدمة يسوع الأرضيّة هي اعتياده الإشارة إلى أبيه. فقد تحدّث عن خطّة أبيه، وطرقه، وطبيعته، وعمل مشيئة أبيه ورفض فعل أيّ شيء يُبعده عن هذه المشيئة. وتكلّم باستمرار مع أبيه، أحيانًا بمفرده، وأحيانًا بوجود آخرين معه. وقد عكست مواقفه وكلماته وأفعاله ثقةً كاملة في شخص الآب وأمانته وإرادته الصّالحة.

علاوةً على ذلك، كانت العلاقة متبادلة. تكلم الآب بصورة علنيّة عن ابنه. فقد قال في أكثر من مناسبة: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبَ"، مقتحمًا عالمنا بصوت مسموع. كما سرّ الآب بكلّ ما فعله ابنه، وبكلّ ما قاله. فالمحبّة التي جمعت بين الآب والابن كانت محبّةً حقيقيّة لا لبس فيها، وكانت الأساس الذي استند إليه يسوع عند دخوله إلى هذا العالم وخدمة احتياجاته.

عندما شارف يسوع على نهاية خدمته الأرضيّة، تحدّث بإسهاب عن عودته إلى أبيه. في العليّة مع تلاميذه قال يسوع: "وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي"

مقبولٌ في الحبيب

(يوحنا ١٦: ٥). ولاحقًا في ذلك المساء، قال لأبيه: "وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ" (يوحنا ١٧: ١١).

لا شكَّ أنَّ ترقُّب عودة يسوع إلى أبيه كان يقابله شغفٌ كبيرٌ في السَّماء لاستقباله من جديد. بالكاد نستطيعُ أن نتخيَّل الشوق المقدَّس الذي تحلَّى به الآب وهو ينتظرُ عودة ابنه المطيع، الذي صُلِبَ، وقام من بين الأموات، إلى منزله. يا له من ترحيب! ويا له من هتاف سماوي! ويا للأحضان الممجَّدة! ويا لفيض الفرح والاحتفال! فقد توجَّ الآب الابنَ العائد وأجلسه عن يمينه فوق كلِّ قوة وإنسان واسم، في الماضي والحاضر والمستقبل.

نحتاج إلى أن نفكر في هذا الواقع الرَّائع؛ كيف يرى الآب الابنَ؟ قد تبدو الإجابة واضحة، إنَّما نفعل حسنًا لو صرفنا بعض الوقت في التَّفكير في الأمر. الآب يحبُّ يسوعَ محبَّةً شديدةً وعميقةً.

نالَ عملُ يسوع على الأرض قبولَ الله التامَّ وقد ختمه بالقيامة والصُّعود.

كذلك، إنَّ قبولَ الآب ليسوع هو قبولٌ مطلقٌ وتامٌ.

عندما وُلِدَ يسوع، أعلنَ الله عن ولادته من السَّماء من خلال الملائكة. وعندما اعتمدَ يسوع، قال الله: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى ٣: ١٧). وعند تجلِّي يسوع على الجبل، اندفعَ الله مجدَّدًا هاتفًا: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا".

وبعد أن تعذَّب يسوع على الأرض، ونزلَ إلى الموت، وقامَ، وصعدَ إلى السَّماء، يا للمحبَّة والقبول والرضا والبهجة، التي تردَّد صداها في قلب الآب نحو ابنه! عندما نفكر مليًّا في نظرة الآب للابن، نصبح مستعدِّين للانتقال إلى أعجوبةٍ أخرى:

نحنُ في المسيح.

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

أولئك الذين يؤمنون بيسوع يتمّ جمّعهم روحياً به. قال الربُّ يسوع: "أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكمّلين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" (يوحنا ١٧: ٢٣). أن تكون "في المسيح" يعني أن توضع في موضع تستقبل فيه المحبة نفسها، والقبول نفسه، والرضا نفسه، هذه التي منحها الآب وما زال يمنحها للابن. إنه الحصول على الامتيازات المجيدة الخاصة بمسرة الله بابنه. أمر لا يصدق! ولكن هذا ما يُخبرنا به العهد الجديد بوضوح وبشكل متكرّر.

أخبر بولس أهل أفسس أن الله قد "اختارنا فيه قبل تأسيس العالم" (أفسس ١: ٤)، وأنه "سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه" (أفسس ١: ٥)، وأنه "أنعم بهّا علينا في المحبوب" (أفسس ١: ٦)، "الذي فيه لنا الفداء، بدمه غفران الخطايا" (أفسس ١: ٧). وفي رسالته إلى أهل رومية، يقول الرسول بولس إن إنساننا العتيق "صلب معه" (رومية ٦: ٦)، وبالتالي، صحيح أيضاً أن الله "أحياناً مع المسيح" (أفسس ٢: ٥) و"أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أفسس ٢: ٦).

نفهم في ضوء ذلك، الوعود والإعلانات العظيمة حول من نحن، وحول نظرة الله لنا. "إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع" (رومية ٨: ١). فكما أنه من غير المعقول أن يدين الآب الابن الذي يحبّه، كذلك من غير المعقول أن يدين أولئك الذين بالإيمان هم في المسيح روحياً: "الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟ من سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرر!" (رومية ٨: ٣٢، ٣٣).

في المسيح نحن محبوبون، ومقبولون بالكامل، ونستقبل إعلان رضا الآب الكامل. وفي المسيح لدينا الوعد بأن يتمّ استقبالنا بالكامل في المجد إلى الأبد. هذه معجزة لا يُعبّر عنها! وهي حقيقة تامة لأنها مؤسّسة على عمل المسيح من أجلنا واتحادنا الروحي معه.

يهتف الرسول يوحنا قائلاً: "أنظروا آية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله!" (١ يوحنا ٣: ١). ويقول الرسول بطرس: "فلكم أنتم الذين تؤمنون الكرامة"

(١ بطرس ٢: ٧). ويمضي مفسراً: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبٌ اقْتِنَاءٌ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ العَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلًا لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَانْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ" (١ بطرس ٢: ٩ ، ١٠).

كلُّ ما نحن عليه في نظر الله، هو من خلال عمل يسوع. فكلُّ من النعمة، والمحبة، والانتماء، والضمان، يعتمدُ على عمل يسوع نيابةً عنَّا. إنَّ القبول المطلق الذي كسبه يسوع من الآب من خلال طاعته الكاملة، يشاركه الآن مع كلِّ الذين يضعون إيمانهم فيه. بالإيمان، نتحدُّ بيسوع وبالتالي نشاركه محبة الآب للابن.

### قبول الله لنا يمنحنا سلامًا يفوق كلَّ عقل.

يقيننا بأنَّ الله يقبلنا من خلال عمل يسوع، يشعُرنا بالسَّلام والاطمئنان. كما قال بولس: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلامٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ" (رومية ٥: ١).

إنَّ التمتع بالسَّلام يعني أننا نعلمُ أنَّ الأمور ستكون على ما يُرام. فكم من صراع داخلي نواجه لأننا خائفون؛ خائفون ممَّا سيحدث، وخائفون ممَّا سيفعله الآخرون بنا أو لن يفعلوه، وخائفون من المجهول والغموض. لكن عندما ندرُك أنَّ الله قبَلنا، وأنَّ لا شيء ولا أحد يمكنه أن يفصلنا عن محبة الله، نشعُر بالسَّلام. قد نظلُّ غير متأكدين من أشياء كثيرة في هذه الحياة، وقد لا نعرف ما ستؤولُ إليه الأمور في المنزل، أو العمل، أو الكنيسة، ولكن على الرغم من ذلك نظلُّ في سلام. نشعُر بالسَّلام لأنَّ ما نعلمُه أكيدٌ جدًّا، ودائمٌ، ومهمٌ للغاية حتَّى أن لا شيء يستطيع أن يزعزعنا. فلنا سلام الله في قلوبنا.

قربَ نهاية حياته، كان بولس في السَّجن، ولم يكن يعلم ماذا سيحدث في محاكمته. وكان بعض "الإخوة" في الواقع يعارضون رسالة المسيح التي كان يشاركها بحرِّية حتَّى مع حُرَّاس السَّجن. ولم يعلم بولس إن كان سيعيش أو

## ألم الرّفص ونعمة القبول

يموت. وكانت تجربة سجنه بلا شك مؤلمة. لقد سمع أشياء متضاربة حول ما كان يحدث في الكنائس حيث خدم في الماضي. وقد لاقى ردودًا مختلفة من اليهود في رومية. وعلم أنه بينما كان يقضي وقته مقيّدًا بالسلاسل، عزم "الإخوة الكذبة" و"فعلة الشر" على قيادة الجيل الأوّل من المسيحيين بعيدًا عن الإنجيل البسيط.

وفي هذا السّياق من انعدام اليقين، كتب الرّسول بولس رسالةً تفيض بالفرح إلى الكنيسة في فيلبّي، قائلاً فيها: "لَا تَهْتَمُّوا (تقلقوا) بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ. وَسَلَامَ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فيلبي ٤: ٦، ٧).

إنّ سلامنا الدّاخلي لا يعتمدُ على الظروف الخارجيّة بقدر ما يعتمد على الواقع الروحي. فالانتماء إلى الله، ومعرفة أنّنا مقبولون بالكامل في ابنه، يعطينا ثقةً بأنّه يمكننا أن نأتي بأيّ ظرفٍ مُقلِقٍ إلى الآب مع الشكر، لأنّه سيسمعُ صلاتنا ويستجيبُ بما فيه خيرنا. وهذا كفيلاً بأن يمنحنا سلامًا لا يُعبّر عنه.

### إنّ قبول الآب لنا من خلال يسوع هو تامٌّ وأبديٌّ.

لن يرفض الآب يسوع أبدًا، لأنّ طاعته كانت تامّة، وبرّه كاملاً، وسيبقى إلى الأبد في مسرة الآب، وكلّ الذين فيه هم أيضًا في تلك المسرة والنعمة الأبديّتين. وفي ضوء ذلك، كتب بولس: "وَرُبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللَّهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عِزًّا أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنُّعْمَةِ، يُعْزِي قُلُوبَكُمْ وَيُبْتَلِّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلَامٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تسالونيكي ٢: ١٦، ١٧). لقد أحبنا الله الآب لأننا في ابنه، وفي محبته ننال "عزاءً أبديًّا ورجاءً صالحًا". ومحبة الآب الثابتة والتامة لابن تمنحنا تشجيعًا ثابتًا وتامًا وتوفّعًا لما لنا من امتيازات باتحادنا بالابن.

لقد قال لنا الرّسول يوحنا بلغة واضحة ومباشرة يتمييز بها: "وَهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الْإِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ لِلَّهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ" (١ يوحنا ٥: ١١، ١٢). فكما أنّ

الحياة الأبدية هي "في ابنه"، وننالها فقط عندما نكون في ابنه، كذلك إنَّ محبة الآب الأبوية لنا هي أيضاً "في ابنه".

نحن نُعدُّ أبناءً وبناتٍ لله فقط باتحادنا بابن الله. وللحصول على القبول التام والأبدي المعطى بحرّية كبيرة لابن الله، لا بدّ من الدخول في الابن والثبات في الاتحاد معه. وفي هذا فقط نجدُ محبة الآب وقوله.

هل يمكن لأيّ شخصٍ أو أيّ شيءٍ أن ينزع منّا الحياة والأمان اللذين لنا في يسوع؟ بالطبع لا! "فإني متيقنٌ أنه لا موتَ ولا حياةَ ولا ملائكةَ ولا رؤساءَ ولا قُوّاتٍ ولا أمورَ حاضرةً ولا مُستقبلَةً ولا علوً ولا عمقَ ولا خليفةَ أُخرى تقدّرُ أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رومية ٨: ٣٨، ٣٩).

وفي ذلك المقطع المشهود حيث يدعو يسوع نفسه الراعي الصالح، يطمئننا قائلاً: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياةً أبديةً ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحدٌ من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحدٌ أن يخطف من يد أبي" (يوحنا ١٠: ٢٧-٢٩). نحن في أمانٍ في يد الآب!

هل يمكننا شخصياً الابتعاد عن يسوع؟ نعم. فالمجيء إلى يسوع لا يسلبنا قوّة الاختيار ومسؤوليتنا في البقاء فيه، أو "الثبات فيه" على حدّ تعبير الرب يسوع. فكما أننا مدعوون إلى تسليم حياتنا كي نأتي إلى يسوع، كذلك يتمّ تحذيرنا من التمرد والابتعاد عنه. فقد حذّر يسوع وكتّاب العهد الجديد مراراً وتكراراً من الابتعاد، و"الارتداد عن الله الحيّ" و"انكسار سفينة" الإيمان (عبرانيين ٣: ١٢؛ ١ تيموثاوس ١: ١٩).

في المقطع نفسه حيث دعا يسوع تلاميذه كي "يثبتوا" (يبقوا، يستقرّوا، يستمروا) فيه، حذّر قائلاً: "إن كان أحدٌ لا يثبت في يطرْحُ خارجاً كالغصن فيجف ويجمّونه ويطرْحونه في النار فيحترق" (يوحنا ١٥: ٦). إنَّ الكاتب الذي كتب للمسيحيين اليهود الأوائل، مستشهداً بمثال الأجداد غير الأمناء، حذّر هؤلاء

## ألم الرّفص ونعمة القبول

المؤمنين الجدد قائلاً: "انظروا أيها الإخوة أن لا يكونَ في أحدكم قلبٌ شريراً بَعْدَ إيمانٍ في الارتدادِ عن الله الحيِّ، بلْ عَطُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لَا يُقَسَى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيئَةِ. لِأَنَّا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبِدْءَةِ الثَّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ" (عبرانيين ٣: ١٢-١٤). إذا ثبتنا في المسيح، لا شيء يستطيع أن يدمرنا، لكن إن ابتعدنا عن المسيح، لا شيء يستطيع أن يخلصنا.

وبالتالي إن الشرط للاستمرار في مشاركة الابن قبوله الأبدي والتام هو الثبات فيه. عندما ثبت في يسوع، نحصل على الضمان الرائع بأن يتشارك جميع الذين هم في الابن محبة الآب نفسها لابنه. فالحياة الأبدية هي في الابن، والقبول الأبدي هو في الابن، والضمان الأبدي هو في الابن. أما خارج يسوع، فلا حياة ولا قبول من الله ولا ضمان.

### قبول الله لنا يمنحنا الأساس لتجاوز كل رفضٍ أُرضي.

بما أنه يستحيل على الآب أن يرفض الابن، كذلك يستحيل أن تكون في المسيح ويرفضك الله. عندما تصف كلمة الله مركزنا في المسيح، فإنها تمنحنا بالإجماع ضماناً بمحبة الله وقبوله التام. لكن بينما تؤكد لنا الكلمة قبول الله، فإنها تخبرنا عن رفض الناس.

صحيح أن الآب أحب الابن، لكن العالم أبغضه. فقد تنبأ إشعياء قائلاً: "مُحْتَفَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ" (إشعياء ٥٣: ٣). وذكر يوحنا أنه: "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يوحنا ١: ١١). وقد أشار يسوع إلى نفسه بأنه "الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاوُونَ" (متى ٢١: ٤٢).

حذر يسوع أتباعه من أنهم سيُعامَلون بالطريقة نفسها التي كان يُعامَل بها. فقد قال: "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ... إِنْ كَانُوا قَدْ اضْطَهَدُونِي فَسَيُضْطَهَدُونَكُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلَامِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلَامَكُمْ" (يوحنا ١٥: ١٨، ٢٠).

يُنَوِّعُ بعضُ الرِّفْضِ تجاه أولئك المقبولين بشكلٍ رائعٍ من الله من خلال الابن. يجدرُ بنا ألا نخشى الرِّفْضِ ونحاول تجنُّبه كلِّه. وعندما يتمُّ رفضنا بسبب اتِّحادنا بيسوع، فهذا في الواقع شرف. قال الرَّبُّ يسوع: "طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شَرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لَأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ" (متى ٥: ١١، ١٢). وكتب بطرس: "إِنَّ عَيَّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ، لَأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللَّهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ" (١ بطرس ٤: ١٤)، وأيضاً: "وَلَكِنْ إِنْ كَانَ كَمَسِيحِي فَلَا يَخْجَلْ، بَلْ يُمَجِّدُ اللَّهَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ" (الآية ١٦). فإنَّ رِفْضَنَا وَسوءَ معاملتنا بسبب إيماننا هو بمثابة الحصول على علامة تجارية رُوحِيَّةٍ تميِّزنا كَمُنْتَمِينَ إلى يسوع وتؤكد لنا أننا مثله، مقبولون من الآب بالنَّعْمَةِ.

لكن يجدرُ بنا بالطبع ألا نفترض أنَّ كلَّ رفض نواجهه يتعلَّقُ بكوننا أتباع يسوع. نحن نعيشُ في عالمٍ فاسدٍ، حيث يرفضُ أحياناً الأهلُ أولادهم، ويرفضُ الإخوة بعضهم بعضاً، ويرفضُ أعضاءُ الكنيسة أحدهم الآخر، ويتصرفون بشكلٍ غير ناضج بعضهم مع بعض.

ينبغي ألاَّ نتحدث مثل هذه الأمور، لكنَّها للأسف تحدث. وقد جرَّت حتَّى في الكنيسة الأولى. كتب يوحنا عن رجلٍ يدعى دِيوثْرِيفِس، وهو قائد أحبَّ المناصب. هذا الشَّخص رفضَ استقبال بعض الإخوة المؤمنين، وفرضَ على آخرين إمَّا أن يتعاونوا مع سياساته الحصريَّة، وإمَّا أن يتمَّ طردهم من الكنيسة (انظر ٣ يوحنا ١٠).

كيف نتعامل مع ألم الرِّفْضِ الآتي من صديقٍ مسيحيٍّ، أو قائد كنيسة، أو أحد الوالدين، أو ابنٍ وابنة، أو شريك الحياة؟

ربما أوَّل شيء يجدر بنا القيام به هو فحص حياتنا الشخصية. هل كُنَّا أنانيين؟ أو هل فشلنا في أن نكون مشابهين المسيح في كلماتنا، أو أفعالنا، أو مواقفنا؟ في المقطع نفسه الذي تحدَّث فيه الرَّسول بطرس عن امتياز المعاناة كإنسانٍ

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

مؤمن، يقول لنا: "فَلَا يَتَأَلَّم أَحَدُكُمْ كَفَاتِلٍ، أَوْ سَارِقٍ، أَوْ فَاعِلٍ شَرٍّ، أَوْ مُتَدَاخِلٍ فِي أُمُورٍ غَيْرِهِ" (١ بطرس ٤: ١٥). إذا كان الرّفص الَّذِي نواجهه هو بسبب كلمات أو أفعال أو مواقف خاطئة من جانبنا، يجدرُ بنا أن نتوب، لا أن نفرح.

إذا أعظم قبول، القبول الَّذِي يهْمُ حقًّا، ليس قبول عائلتنا أو أصدقائنا أو أقراننا بل قبول الله. في جميع الحالات، يجبُ أن نسعى للحصول على قبول الله. حثّ بولس تيموثاوس على أن يثابر جدًّا في سبيل هذا الأمر، إذ قال: "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ مُزَكَّى" (٢ تيموثاوس ٢: ١٥). وهذا يعني أن يركّز كلَّ جهدٍ ممكن، محوًّا جميع اهتماماته نحو الحصول على قبول الله. وإذا بدا رِفْصُ الآخرين لنا كردِّ فعلٍ على عدم نضجنا أو على تمرکزنا حول ذواتنا، فإننا سنجدُ قبول الله في الاعتراف بصراحةٍ بخطايانا، وترْكها، وطلب السَّماح ممَّن أخطأنا بحقِّهم.

عندما نعيشُ في رضا الله ونحصلُ على بركته في حياتنا، يكون لدينا الأساس للتعامل مع الرّفص. قد يؤلمنا الرّفص الآتي من أفراد الأسرة، أو أعضاء الكنيسة، أو الأصدقاء، ولكنه لن يدمرنا بالضرورة. قد نحزن في عزلتنا، لكننا نعلم أننا لسنا وحدنا، لأنَّ الرَّبَّ معنا. إنَّه معنا ليس فقط بوجوده، ولكن أيضًا ببركته. وبذراعه التي تحيطُ بنا في حزننا نتعزَّى. وحتى في عزائنا نتعلَّم ونتذكَّر الكثير من الأمور الحسنة. لقد أحببنا الرَّبَّ على الرغم من أننا لا نستحقُّ. وأتى بنا إلى النُّعمة والبركة على الرغم من نقصنا.

قبل عدَّة سنوات، قضتُ عائلتنا بضعة أشهر في رومانيا. وفي إحدى الليالي، قبل فترة وجيزة من عودتنا إلى ديارنا، جاءت شابةٌ لزيارتنا. كانت تروي بدموع كيف رأت المعمودية المسيحية وقررت أن تتبع يسوع. ولكنَّ القرار الَّذِي منَحها سلامًا في قلبها سبَّبَ توترًا في عائلتها. فقد اضطرَّها وضعها الاقتصادي الصَّعب، لأن تسكن هي وزوجها في منزل والديه. وقد أبلغاها أنها إذا انضمت إلى المسيحية، سيطردها هي وزوجها من منزلهما. فبالكاد تستطيع الكلمات أن تصف ألم هذا النوع من الرّفص. لكن فقط من خلال قبول أبينا السماوي والأبدي وغير المستحقِّ، نملك الأساس لمواجهة هذا النوع من الرّفص.

بينما يعزينا الآب، سيذكرنا بدعوتنا لأن نحب أولئك الذين يبغضوننا، وأن نصلي من أجل الذين يرفضوننا، وأن نسامح من يسيئون معاملتنا ويطردوننا من دوائر حياتهم. في الفصول اللاحقة، سوف نستكشف الاستجابات الصحيحة للرفض، لكن دعونا الآن نُرسِي بقوة الأساس لهذه الاستجابات: لقد قبلنا الله. هذا القبول غير المستحق والغامر من الآب من خلال الابن هو الأساس الذي منه ننطلق للرد على جميع الناس، لا سيما على أولئك الذين يرفضوننا. بدون قبول الآب، سوف نبادل الذين يرفضوننا الكره بالكره، والشجار بالشجار، والرد بالرد، والأذى بالأذى. أو في أحسن الأحوال، سوف نجتري طرقهم البغيضة المؤذية.

يمنحنا الآب طريقاً جديداً. فهو يستقبلنا ويحبنا، حتى يتسنى لنا أن نتعلم ألا نبادلهم الرفض بالرفض، وحتى نعتق من دوائر هذا الكره المفرغة، ومن العالم المؤذي، وحتى يتسنى لنا أيضاً أن نصبح خدامه لإنقاذ الآخرين من دوامات التدهور تلك.

هناك فرحٌ عجيب في قبول الآب؛ إذ لنا فرح الاتحاد بيسوع، وفرح معرفة أنه لا دينونة علينا، وفرح مشاركة محبة الآب وصلاحه مع الآخرين، وفرح إظهار التعاطف مع أولئك الذين يسيئون، بمن فيهم أولئك الذين يسيئون إلينا. ففي حياتنا التي تتمركز حول ذواتنا لا يمكننا أن نرى هذا كله أبداً، لأننا منغمسون جداً في آلامنا الخاصة. ولكن أولئك الذين يرفضوننا يُبدون دائماً ردود أفعال خارجة عن مآسيهم التي لم تُحل وعن أنانيتهم المستمرة.

فإذا عشنا في قبول الآب، يمكننا أن نرى أولئك الذين يرفضوننا من منظورٍ جديدٍ تماماً. فقد أصبح لدينا أساسٌ مختلفٌ تماماً للرد على الرفض لأننا لم نعد متمركزين حول أنفسنا. أصبحنا نركز على يسوع، وهو حياتنا، وضمائنا. وبفضله نحن محبوبون من الله. وفيه لنا ختم الانتماء إلى الآب؛ نحن أبناء وبنات الآب السرمدي.

### أسئلة الدّراسة

١. اكتبْ لائحة بالبركات والوعود التي يتمتّع به المؤمنون "في المسيح". يمكنكُ أن تسجّل ما تمّ ذكره في هذا الفصل أو تقوم بدراستك الخاصة من العهد الجديد.

أ. خذْ منها بعض ما يلمسك شخصياً، واكتبْ بكلماتك الخاصة ما تعنيه بالنسبة إليك، ولماذا تحمّل هذا المعنى.

ب. أيُّ منها يصعبُ عليكُ فهمه أو اختباره؟

٢. بينما تفكّر في ما يعنيه أن تكون "في المسيح"، حاولْ أن تفكّر أيضاً في استجاباتك. ما هي الطرق التي تجدها مناسبةً للاستجابة لهذه الحقيقة الرائعة وللبركات المصاحبة لها؟

٣. فكّرْ في تجارب الرّفص التي تعرّضتَ لها.

أ. هل يمكنكُ تحديد المرّات التي تمّ رفضك فيها بسبب إيمانك بيسوع؟ هل كنتَ قادراً على أن ترى فيها بركةً وشرفاً؟

ب. قال الرّب يسوع إنّنا إذا تبعناه، سوف يعاملنا العالم بالطريقة التي عامله بها. نحاول أحياناً تجنّب العداوة، والسّخرية، ومحاولات إيقاعنا في فخ التلفظ بكلام خاطئ، والإساءة (هذه الأمور التي واجهها يسوع). هل يمكنكُ أن تتذكّر المرّات التي حاولتَ فيها تفادي هذه الأنواع من التجارب؟ اقرأ كلمات يسوع في متى ٥: ١١، ١٢ وتأملْ بها. ما هو أساس مثل هذا المنظور؟

ج. هل تتذكّر المرّات التي تمّ فيها رفضك لأسباب أخرى؛ إمّا لأنك لم تتشبّه بالمسيح وإمّا ببساطة لأنك كنتَ جزءاً من عائلة معيّنة أو مجموعة معيّنة؟ حاولْ أن تتذكّر بأمانة كيفيّة تعاملك مع التجربة. إذا تسنّت لك إعادة صياغة ردود أفعالك، ما الذي كنتَ لتفعله بطريقةٍ مختلفة؟

٤. راجع ١ بطرس ٢: ١٢. يبدو أنّ هناك طرقًا سليمة وطرقًا غير سليمة للحصول على قبول غير المؤمنين. حاول أن تبيّن لنا الفرق بينها.

٥. كتب الرسول بولس أنّه يجب علينا أن نجتهد لننال قبول الله. برأيك، كيف نستطيع اتباع هذه التعليمات؟ وما هي الطرق المحددة التي تسعى من خلالها للحصول على قبول الله؟

٦. تأمل في الآيات التالية التي تصف كيف يُحضرنا يسوع إلى عائلة الله. قد ترغب في حفظها وإعادة صياغتها كي تبقىها في قلبك وذهنك.

أ. "كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكَوَّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلَا مِنْ مَشِيئَةٍ جَسَدٍ وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنْ اللَّهِ. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا ١: ١٠-١٤).

ب. "الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَزْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةُ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تَقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا" (رومية ٨: ١٦-١٨).



## الفصل ٧

### ثابت في يسوع

نحن "في المسيح". يا له من اتحاد مذهل! "إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (٢ كورنثوس ٥: ١٧). كم يحتاج مَنْ عَانُوا الرَّفْضَ لاستيعاب حقيقة القبول الرائعة، هذا القبول الذي لنا من الآب من خلال يسوع. في هذا الفصل سنمضي قُدَمًا من اختبار القبول نحو اختبار الثبات. ماذا يعني أَنْ نعيش على الدوام في اتحادٍ مع يسوع؟

قبل ساعات من تعرُّض يسوع للخيانة والتسليم للموت، تحدَّث بإسهاب إلى تلاميذه، وتطرَّق تحديدًا إلى العلاقة المستمرة التي سيقومها معهم على الرغم من موته الوشيك. وكعادته استخدم تشبيهًا؛ فشبه نفسه بالكرمة، وتلاميذه بالأغصان.

"أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْقِيهِ، لِيَأْتِي بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ. اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ."

أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ، هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ لِأَنَّكُمْ بُدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ، يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ. إِنْ ثَبْتُمْ فِيَّ، وَتَبَّتْ كَلَامِي فِيكُمْ،

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي أَنْ تَأْتُوا بِبَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلَامِيذِي" (يوحنا ١٥: ١-٨).

### يسوع يدعوننا لنثبت فيه.

إنّ الكلمة المترجمة اُتَبْتُوا تعني "ابقوا، أو استمروا، أو استقرؤا، أو امكثوا، أو عيشوا مع." كان التلاميذ قد تبعوا يسوع ثلاث سنين ونصف، وقد تركوا منازلهم وعائلاتهم لاتباعه، وها هو الآن يخبرهم أنّه سيمضي بعيداً. كان خوفهم شديداً ومفهوماً. وقد أضاف: "ابقوا فيّ." سنكون مثل الكرمة والأغصان. سأكون الكرمة، وأنتم ستكونون الأغصان. وفي هذا النوع من العلاقة، ستستمدون حياتكم وحيويتكم منّي، وستثمر حياتكم ثمراً كبرهانٍ عن علاقتنا.

بالنسبة إلى التلاميذ، يشير الثبات في يسوع إلى أنّهم كانوا بالفعل في اتّحادٍ روحيٍّ معه. فقد آمنوا به، ومن خلال ذلك الإيمان، أصبح هو حياتهم. واختبروا طريقةً جديدةً للعيش في هذا العالم، ولمعرفة الآب ومحبته، وللمشاركة في مقاصده الصّالحة للعالم. كان يسوع يخبرهم أنّهم بحاجة للاستمرار في تلك العلاقة، علاقة الثقة والإيمان والمشاركة معه. فكما آمنوا به واستمعوا له واتبَعوا توجيهاته، كان يجدر بهم أن يستمروا في الإيمان به والاستماع له واتباعه. قال يسوع: "أنا ماضٍ، إنّما عليكم أن تثبتوا فيّ وأنا فيكم."

إذا ثَبَتَ التلاميذ في حياة الاتّحاد بيسوع والإيمان به، سيظلّون يحصلون على حياة وتفاهم سماويين. كان يسوع بالنسبة إلى التلاميذ إعلاناً جديداً عن الآب. فقد أثبت لهم أنّ الآب منعمٌ، وأنّه يُظهرُ محبته للخطاة ويقبلُ التائبين، ويتأثر بشكلٍ خاصٍّ باحتياجات المتألّمين والمضطهدين، وأنّه بكلِّ محبةٍ أرسل ابنه فادياً ومخلصاً للعالم، ولديه النية الكاملة لإصلاح العالم من جديد، وتجديد البشر والكون بأسره.

ثابتٌ في يسوع

فتح يسوع نوافذ جديدة في قلب الآب. ثمَّ في نهاية حياته، قال لتلاميذه: "اثبتوا فيّ". فالإتحاد المستمرُّ بيسوع هو المفتاح للاستمرار في معرفة الآب والمشاركة في طريقه.

### إنَّ انطلاق يسوع لن يؤدي إلى فقدان العلاقة.

بالنسبة إلى التلاميذ، كان يسوع هو المعلم، والشخص الذي بينَ لهم الطريق، ومرشدهم وراعيهم. وكان بوسعهم الذهاب إليه كلما كان لديهم سؤال أو صراع أو قرار يتخذونه. وقد أخبرهم مرارًا وتكرارًا عن الطريق المؤدية إلى السماء. وكان قد أطلق في إحدى الأمسيات هذا الإعلان الذي لا يُنسى: "أنا هو الطريق" (يوحنا ١٤: ٦). إن فكرة أن يسوع سيمضي بعيدًا جعلت التلاميذ يشعرون، بطبيعة الحال، بالضيق والخوف.

"اثبتوا فيّ!" أكدت كلمات يسوع هذه لتلاميذه أنه بإمكانهم أن يبقوا في مثل هذا الإتحاد، وأنهم سيستمدون منه القدر نفسه من الإرشاد الذي حصلوا عليه عندما كان لا يزال معهم في الجسد. ولتعزيز هذا الوعد، أكد لهم أنه سيرسل لهم الروح القدس، البارقليط، الذي سيكون معهم. "فهو يعلمكم كلَّ شيءٍ ويذكركم بكلِّ ما قلته لكم" (يوحنا ١٤: ٢٦)، "ومتى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كلُّ ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمرٍ آتية" (يوحنا ١٦: ١٣). إن الثبات في يسوع يعني البقاء في علاقة تمدهم باستمرار بإرشاد السماء.

وإذ كان التلاميذ قلقين بشأن انطلاق يسوع، أكد لهم أن علاقتهم به يمكن أن تستمرَّ وتتعمق أكثر، لكن عليهم أن يثبتوا فيه. وصحيح أن إتحادهم الروحي معه سيكون مختلفًا، لكنه لن يقلَّ واقعيةً.

لم يكمن الخطر في أن يتركهم هو، بل أن يتركوه هم. اثبتوا! الأيام القادمة ستكون مضطربة، وستواجهون الأحزان، وسيكون لكم ضيق في هذا العالم، لكن

## ألم الرّفص ونعمة القبول

لا تخافوا ولا تشكّوا ولا تبتعدوا. ابقوا فيّ أنا! تشبّثوا فيّ كما تشبّث الأغصان في الكرمة، واستمدّوا باستمرار حياتكم ومواردكم مني، وعيشوا في اتحادٍ دائمٍ معي، ولتكن علاقتكم بي محلّ إقامتكم الدائم!

على غرار هؤلاء التلاميذ الأوائل، غالباً ما نتصارع مع حقيقة علاقتنا بيسوع. فلأنّها علاقة روحية غير ملموسة، لا يمكننا التحقّق منها بحواسنا، عبر النّظر أو السّمع أو اللمس. فنحن يوماً نتقابل مع يسوع مقابلةً تهزّ كيّاننا، ثمّ في اليوم التالي تواجّهنا ظروفٌ تجعلنا نترنّح ونتلمّس طريقنا إلى يسوع.

إنّ هارمون شميلزينباخ، الذي قضى حياته يبشّر في الموزمبيق، يحكي قصّة صمويل، نجّل زعيم قبيلة محلّية. عندما اعتنق صمويل المسيحيّة، اختبر الحياة كما لم يختبرها من قبل، ودخل يسوع قلبه! ولكن بعد ذلك بوقت قصير، أقام والد صمويل وليمةً قدّم خلالها ذبيحة لاسترضاء الأرواح، واستوجب طقسُ العبادة أن يأكل كلُّ عضو من القبيلة لقمة من الحيوان المقدّم كذبيحة. وعندما رَفَضَ صمويل أن يأكل حصّته من اللحم، غضبَ والده. فوضعوا أوتاداً لتثبيت يديه ورجليه المتباعدة على الأرض، وأخذَ أولاً أبو صمويل ثم أخو صمويل الأصغر يجلدانه مراراً وتكراراً إلى أن فقدَ وعيه. لكنّه ظلّ ثابتاً في التزامه الجديد بيسوع.

وفي الليل، أطلقت شقيقة صمويل الصّغرى سراحه سرّاً، فتوجّه نحو مجمع الإرساليّة. وفي صباح اليوم التالي، عندما وجده المرسلون يتحرّك ببطء نحو مجمعهم، أوّل سؤال بادر إلى ذهن صمويل كان: "أخبرني أيّها المرسل، هل يسوع الذي دخل قلبي ... سيفارقني يوماً؟"<sup>1</sup>

وجاء ردُّ المبشّر مباشرةً من الكتاب المقدّس: " قَالَ: 'لا أهملك ولا أتركك'. حتّى إنّنا نقولُ واثقين: 'الربّ مُعِينٌ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟'" (عبرانيين 13: 5، 6).

1 Harmon Schmelzenbach, "Ringling the Bell," Missionary Service tape recording, 9/22/98.

لن يتخلّى يسوع أبداً عن المؤمنين به! ليس الخطرُ أن يتركنا، بل أن نتركه نحن. لذلك يطلب يسوع من تلاميذه أن يثبتوا فيه! والأشخاص الذين يثبتون في يسوع لن يختبروا علاقةً متناقصة بل متنامية، واتّحاداً يعطي الحياة ويحفظهم في وسط أيّ ظرف يواجهونه.

### لا أحد يستطيع أن يملأ مكان يسوع.

في قلب كلِّ رجل وامرأة فراغٌ لا يملأه سوى الله وحده. كتب أوغسطينوس في كتابه "اعترافات": "لا تهدأ قلوبنا حتى تجد راحتها فيك". فكما رأينا، غالباً ما يحاول الأشخاص الذين يعيشون في فراغ علائقي، أن يملؤوه بشيءٍ آخر، لكن سرعان ما يجدون أن الفراغ يزداد. إن اختبار الفراغ في علاقاتنا الأرضية قد يكون الوسيلة التي من خلالها ندرك احتياجنا إلى الله. إن المرأة السامرية عند البئر مثلاً، أدركت عطش روحها بسبب سلسلة العلاقات المكسورة التي اختبرتها. فما كانت بحاجة إليه لم يكن رجلاً آخر، بل يسوع.

صحيح أن جميع المسيحيين يحتاجون إلى سماع دعوة يسوع للثبات فيه، لكن هذه الدعوة هي الأقرب إلى قلب المرفضين. ففي الوقت الذي يعزّز فيه الرّفص الألم ويثير مشاكل التّمرکز حول الذات، يدفّعنا قبول الله إلى تقدير امتيازات الثّبات في يسوع، وإدراك مدى خطورة الابتعاد عنه. عندما نواجه الرّفص في العلاقات الإنسانيّة، فإننا نتوقّع المزيد من القبول. على سبيل المثال، إذا تعرّض شخصٌ ما للرّفص من قبل أبيه، فمن السّهل أن يفترض، على الأقلّ في اللاوعي، أن من شأن قبول أبيه أن يحلّ مشاكله، أو يجعله سعيداً، أو يمنحه السّلام والفرح ويريحَه من مخاوفه. إنّ الاتّحاد بيسوع قادرٌ على توفير نعمة S للتّعامل مع كافّة أجزائنا، بما في ذلك الحزن الذي يسبّبه الرّفص. فهذا الاتّحاد يوفر ما لا يمكن أن توفّره أيّة علاقة أخرى لأنّ يسوع يحيا فينا بطرُق لا يستطيعها أيّ شخص آخر.

أحياناً عندما نعملُ مع شخص تعرّض للرّفص، نميلُ إلى محاولة ملء الفراغ. فنكون أباً للشخص الذي رفضه أبوه، أو رفيقاً للشخص الذي هجره رفيقه أو رفضه.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

ومع أنّه بإمكاننا أن نكون رقيقًا وأخًا أو أختًا في يسوع، إلّا أنّنا لا نستطيع ملء تلك الفراغات، وإن حاولنا فعل ذلك، فإننا نعدُّ أنفسنا والآخرين لخيبة الأمل. لذا من الأفضل أن نقوم بالدور الذي نستطيع القيام به كصديق، أو عمّ، أو أخت أو أخ روحي، لقيادة مثل هذا الشّخص إلى يسوع، وتمكينه من إيجاد النّعمة في يسوع للتعامل مع الفراغ بشكلٍ جيّد.

يجدر بنا ألاّ نمّر على هذه النّقطة مرور الكرام. عندما نحاول ملء الفراغ في علاقة شخص ما عن طريق شخص آخر، نضع عددًا من الاحتمالات المؤسفة. أوّلًا، نسهّل على الشّخص رّفص من رفضه. على سبيل المثال، إذا حاولت أن أكون أبا لولد له أب مسيء أو مهممل، وابتدأ هذا الولد يبحث في عمّا افتقده في والده، سيسهّل عليه رفض والده، وستجده يأخذ منه موقفًا بحجّة أنّه "لم يعد بحاجة إليه". النهج الأفضل هو أن أكون الصّديق الذي يساعد الولد على التّعايش مع ألم الحزن وإبقاء قلبه مفتوحًا للتعامل مع هذا الأب بطرقٍ سليمة.

الخطر الثّاني المرتبط بمحاولة ملء الفراغ في علاقة ما، هو أنّنا نعدُّ الشّخص المرفوض لخيبة الأمل. لو عدنا إلى مثل الأب المسيء أو الغائب، سنجد أنّه حتّى لو أقمنا مع الولد أفضل صداقة، سيظلّ الفراغ موجودًا. مهما كنت صديقًا جيّدًا، لا بدّ من وجود أبعاد في دور "الأب" لا أستطيع ملأها، ما يؤدّي بالتّالي إلى شعور الشّخص المرفوض بتلك الفراغات في صداقتنا، وإلى انتقال شعوره بالرّفص من علاقته بوالده إلى علاقته بي.

في مجتمعنا المليء بالرّفص، يشبُّ عددٌ لا يُحصى من الفتيان والفتيات وهم يشعرون بالحزن والفراغ في علاقتهم مع أهلهم. وكمراهقين وبالغين، يبحثون عن شباب آخرين مرفوضين مثلهم لملء الفراغ الذي يتركه الأهل. فعندما يقوم شابّ وشابّة مرفوضان بتحويل فراغهما المتبادل إلى علاقة رومانسيّة، في محاولة لمداواة جروح العلاقات المكسورة مع والديهم ويحصلان على "الحبّ" بعضهما من بعض، فإنّهما حتّمًا يضيفان بذلك مطالب مستحيلة على كاهل بعضهما البعض.

ثابتٌ في يسوع

قد ينجح ذلك طالما أنّ تشويق الرُّومانية مستمرّ، ولكنّ العلاقة دائماً ما تفسد في النهاية. ففي علاقتهما المريضة، قد يفوق أذاهما بعضهما لبعض أذى أهلهم.

إنّ النهج الأفضل هو تمكين الشَّخص من مواجهة حزن العلاقة المكسورة مع الأهل وتعليمه كيفية التعامل مع هذا الحزن بطرقٍ سليمة. ليس هدفُ تقربنا ممّن يعانون خللاً في العلاقات إزالةً ألهمهم، بل تعليمهم كيف يتعايشون مع الحزن بشكلٍ جيّد. فالقدرة على التعايش مع الألم نجدها في علاقة الاتِّحاد بيسوع. بينما نحيا في يسوع، ونقبل محبَّته، ونتعلَّم أن نبادله هذه المحبَّة، سنقوى على معرفة احتياجات مَنْ جرحونا، وعلى مسامحتهم، والبحث عن طرق لنحبِّهم، والصلاة من أجلهم، ومباركتهم حتَّى لو لم يؤدُّوا واجبهم أو كانت أعمالهم مسيئة.

## الثَّبات في يسوع سينتج ثمرًا.

بالعودة إلى تشبيه الكرمة والأغصان، نرى يسوع يشيرُ مرارًا وتكرارًا إلى "الثَّمر". فالعلاقة الثَّابتة فيه تهدف إلى إنتاجِ ثمر في حياتنا. "كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزَعُهُ وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْقِيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ" (يوحنا ١٥: ٢). إنّ الهدف من فيض حياة يسوع في حياتنا هو الإتيان بنتائج. لا بدّ من ظهور ثمرٍ في حياتنا نتيجة هذا الاتِّحاد.

ما هو هذا "الثَّمر"؟ وماذا يعني لي، كأحد أتباع يسوع، أن آتي بثمر؟

الكرمةُ تحدّد الثَّمر. إذا كانت الكرمة هي كرمة عنب كونكورد، فالثَّمر الخارج من الأغصان سيكون بالتأكيد عنب كونكورد، وليس مشمشًا. وإذا كان يسوع هو كرمتنا، فالَّذي سيخرج من حياتنا سيشابه يسوع بكلِّ وضوح وبشكلٍ لا لبس فيه. والذين يثبتون في يسوع، ويعيشون في اتِّحادٍ روحيٍّ معه، سيكونون مشابهين ليسوع في كلماتهم، وسلوكهم، وخططهم، وعلاقاتهم، وعملهم، وفي كلِّ ما يخرج من حياتهم.

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

ليس يسوعُ الطَّرِيقَ فحسب، بل الحياةُ أيضًا. وهو يقدّم نفسه وحيويّته، وموارده، وقوّته، وحكمته، وصلاحه، وبرّه، ومحَبّته، حتى إنّنا بالعيش في اتّحادٍ معه، سوف نقدّم للنّاس من حولنا حلاوة يسوع في كلماتنا وأفعالنا ومواقفنا. وكلّما عشنا في اتّحادٍ مع يسوع واستمددنا حياتنا منه، زاد الثمرُ الذي يمكننا حمله.

إنّ الأشخاص الذين يثبتون في يسوع يصبحون أكثر فأكثر مثله. سيكونون مشابهين له أكثر فأكثر، وبالتالي، سيذكّرون كلّ من يحتكّ بهم بيسوع. في السّنوات التي تلت صعود يسوع، تحقّق هذا الأمر حرفيًا مع تلاميذه. عندما شفى بطرس ويوحنا الرجل الأعرج باسم يسوع وأحضرهما القادة اليهود أمامهم للمحاسبة، انتهزا الفرصة للتحدّث علنًا وبوضوح عمّن كان يسوع حقًا. تعجّب القادة كيف أمكن لهذين الرجلين غير المتعلّمين أن يملكا مثل هذه القوّة، والوضوح، والجرأة: "فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ" (أعمال الرسل ٤: ١٣).

وبعد بضع سنوات، ومع تشبّه المؤمنين في مناطق أخرى، انطلقت حركةٌ قويّة في أنطاكية. وقد أرسل برنابا إلى بولس، وعلم الاثنان المؤمنين الجدد. وكانا مؤثّرين جدًّا حتّى إنّ المتفرّجين في تلك المنطقة أطلقوا على أتباع يسوع الجدد "مسيحيّين"، لأنهم كانوا مشابهين للمسيح، وكانوا يأتون بثمار كثيرة!

### إنّ ثمر العيش في يسوع يتّسم بخصائص محدّدة.

كيف يبدو هذا "الثمر"؟ ما الصّفات التي ينتجها يسوع في الأشخاص الذين يعيشون في اتّحادٍ معه؟

في رسالته إلى مؤمني غلاطية الأوائل، قدّم الرّسول بولس تسع خصائص مميزة للثمر (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣). يمكننا أن نعتبرها تسعة عناوين فرعيّة لیسوع. إنّها تصفُهُ، وبالتالي هي ثمر سكناه فينا بروحه القدّوس، وثباتنا فيه. بعد شرح كلّ صفة على حدة، سوف نتأمّل باختصار بحادثةٍ في حياة يسوع تتجلّى فيها

هذه الصفة. (ملاحظة: سوف يتم سرد هذه الصفات بحسب ما ورد في ترجمة سميث وفاندايك).

١. محبة... أي العيش في تكريس مستمر لله والتزام تام بالإخوة المؤمنين، وإظهار رحمة للمحتاجين، والعمل لما فيه خير الآخرين، بمن فيهم أولئك الذين يعارضوننا أو يسيئون إلينا أو يعاملوننا باحتقار.

أظهر يسوع هذا مرارًا وتكرارًا في خدمته. فكرر في ليلته الأخيرة مع تلاميذه عندما كانت خطايا العالم وموته الوشيك يثقلان روحه بشدة. (بالمناسبة، كانت هذه أكبر موجة رفض لاقاها يسوع من شعبه). يخبرنا لوقا أن التلاميذ كانوا يتشاجرون مجددًا حول من فيهم هو الأعظم. يسجل يوحنا أن يسوع أخذ منشفة وغسل أرجل تلاميذه في عمل محبة لا ينسى، وقد كان هذا تجسيدًا مختصرًا لكل حياته. فقد وضع مجده جانبًا، أخذًا دور الخادم، ومؤديًا خدمة تطهير دون التفكير بكم ستكلفه. ثم قال: "فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" (يوحنا ١٣: ١٤).

٢. الفرح... الابتهاج بالرّب وبطرقه، وإيجاد المتعة في أعمال الله، والفيض بالتسبيح لشخصه، وشكره على كل ما يفعله، ومشاركة هذا الابتهاج مع الآخرين.

نرى يسوع في مناسبات مختلفة يُشيدُ مسبحًا. حدث ذات مرة أن تلاميذه عادوا من رحلة تبشيرية، وبدوا مستمتعين بالقوة التي اختبروها عند انتهار الأرواح الشريرة. فطلب يسوع منهم أن يفرحوا بالأحرى بانضمامهم إلى عائلة الله. ثم عبّر عن ابتهاجه برؤية قوة الله تعمل في هؤلاء الرجال العاديين. "وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال: "أحمدك أيها الأب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الأب لأن هكذا صارت المسرة أمامك" (لوقا ١٠: ٢١). وقد أحب يسوع رؤية أبيه يعمل في أتباعه.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

٣. السّلام... سلام الرّوح العميق والمستقرّ، عالمين أنّنا مصالحوّن و" في المنزل" في عائلة الله، وحاصلين بالكامل على غفران الآب وقبوله، ومدركين أنّه كفايتنا. فلا حاجة لنا لأن نبحت عن شيع نفوسنا في أيّ مكانٍ آخر.

نعود مجدّداً إلى اللّيلة الأكثر اضطراباً في حياة يسوع: كان اليهود يخطّطون لقتله، ويهوذا يرتّب لخيانته، وتلاميذه خائفين ومحتارين بشأن تلميحاته بأنّه سيتركهم قريباً، وقوى الشّر في السماء تتكتّل ضده، وخطايا العالم على وشك أن تلقى على كتفيه، والتعذيب الجسدي والموت الرهيب وشيكن. في هذا الإطار العاصف، نطق يسوع بالكلمات المعزّية الرّائعة التالية لتلاميذه: "سَلاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبُ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبُ" (يوحنا ١٤: ٢٧).

٤. طول أناة ... التحلي بالصبر مع الضّعيف وغير النّاضج، واحتمال أخطاء الآخرين لأننا نحبهم، وإظهار الصبر والمودّة للسّاقطين كما نتمنى أن يظهرهما الآخرون لنا عندما نفضل، وافتراس حسن النّيّة في الآخرين، والمبادرة إلى مسامحتهم.

نرى يسوع يظهر هذه الصّفة بانتظام لتلاميذه الاثني عشر. ذات مرّة، في وسط مشاحناتهم غير الناضجة، قال لسمعان بطرس: "سَمْعَانُ سَمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغْرِبَكُمْ كَالْحَنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لَا يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبَّتَ إِخْوَتُكَ" (لوقا ٢٢: ٣١، ٣٢).

٥. اللّطف... إبداء اهتمام وحساسة تجاه احتياجات الأشخاص الذين نعيش معهم وظروفهم، ومراعاة الآخرين بشكلٍ خاصّ عندما يحتاجون إلى مساعدة أو تشجيع أو تقدير، واستخدام مواردنا لتلبية تلك الاحتياجات.

يسجّل النّصف الأخير من مرقس ٥ لطف يسوع المعهود من نحو أولئك الذين هم في محنة. كانت ابنة يائرس تحتضر، وكان يائرس يتوق لمساعدة يسوع. وبينما كان يسوع متّجهاً إلى منزل الحاكم، حاصرته الحشود، وأخرت

ثابتٌ في يسوع

تقدّمه. ثمّ لمست سيّدة رداءه، وفي قلبها إيمانٌ بأنّ هذه اللمسة ستشفيها، فتوقّف يسوع لبحث عنها وبارك إيمانها. وفي هذه الأثناء، وصل رسولٌ إلى مكان الحدث، كي يبلغَ الحاكمَ أنّه فات الأوان، فقد ماتت ابنته. عندها نطق يسوع على الفور بكلماتٍ معزّية للأب المصدوم، إذ قال له: "لَا تَخَفْ. آمِنْ فَقَطْ" (مرقس ٥: ٣٦).

تجاهلَ يسوع النحيب واستهزاء النَّاسِ من حول المنزل، وأخذ والدَيِ الطفلة إلى الغرفة، ناطقًا بكلمات القيامة لابنتهما. ثمّ أبدى اهتمامه المعهود بالاحتياجات التي غفلَ عنها الآخرون، وطلب منهم أن يعطوا الفتاة شيئًا لتأكل. يا للطف المراعي!

٦. الصّلاح... أي إظهار نوعيّة مستقيمة وسليمة في الكلام والسّلك والتصرّف، لا سيّما عندما يكون المحيطون بك منحرفين أو غير جديرين بالثقة، ومحبة كلّ ما هو حقّ وجليل وعادل، وعدم الافتخار بأنفسنا. يمكن اعتبار الصّلاح دافع خدمة يسوع الأرضيّة كلّها - كما قال بطرس لاحقًا، إنّ يسوع "جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا" (أعمال الرسل ١٠: ٣٨). حتّى في سن المراهقة، عندما كان معظم الأولاد في عمره يلعبون لعبة اللصوص والجنود، دُهِش والداه إذ وجداه في الهيكل: "جَالِسًا فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوَبَتِهِ" (لوقا ٢: ٤٦، ٤٧). كان يسوع يفكر أفكارًا صالحة، وينطق بكلمات صالحة، ويعمل أعمالًا صالحة.

٧. إيمان... وجود ثقة ثابتة في الله وفي وعوده، والمداومة على ما هو حقّ وصالح على الرغم من الظروف الصّعبة، والنطق بالحقّ ومحبة الحقّ، والتمتع بدوافع صادقة كي يستطيع الله والآخرون الاعتماد علينا.

عندما شارفَ يسوع على إنهاء خدمته، أدرك أنّ المعارضة اشتدّت جدًّا وباتت قتّالة. صوّر لوقا تصميم يسوع من خلال الكلمات التالية: "وَحِينَ تَمَّتِ الْيَّامُ لِرِثْفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ" (لوقا ٩: ٥١).

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

على الرغم من علم يسوع بما سيقابله، لم يردعه شيءٌ عن تحقيق مشيئة الآب الكفارية، التي تحدّت بفعل محبة الثالوث قبل تأسيس العالم. كان يسوع أميناً في كل شيء، وما يزال أميناً. ويمكننا الاعتماد عليه.

٨. وداعة... فحص اندفاعاتنا وردود أفعالنا باستمرار عندما يكون الناس استفزازيين أو تكون الظروف استفزازية، وإبداء الردود الحكيمة في المواقف المضطربة، وممارسة القوة بدون سحق الضعيف.

إنّ إحدى الحوادث الأكثر تأثيراً في كلّ العهد الجديد هي عندما أتى الفرّيسيّون بالمرأة الزّانية إلى يسوع وطلبوا حكمه. هل كان رأسها منحنيّاً؟ هل كان خدّها يتوهّجان احمراراً؟ هل كان قلبها يخفق بشدّة؟ يمكننا أن نخمّن عارها الشديد. تعامل يسوع مع الوضع بحساسية لا تُصدّق، وحول انتباه المتهمّين إلى قلوبهم، عالمّاً أنّ هذه المرأة لم تكن بحاجة إلى المزيد من الإدانة بل إلى الغفران. فلو وجد رجلٌ وديعٌ حقاً، فهو يسوع!

٩. تعفّف... التخلّي عمّا نرغب به حالياً لخير الصورة الكبرى، وجعل كلّ اشتهاة وشهوة شخصيّة تخدم مشيئة الآب الصّالحة والكاملة.

بعدما صام يسوع أربعين يوماً جاع بطبيعة الحال، فاستغلّ الشيطان ضعف يسوع وجوعه محاولاً أن يدفعه إلى إثبات أنّه ابن الله واستعراض قوّته المعجزيّة. كانت تلك محاولةً للانحراف بيسوع بعيداً عن قيادة مشيئة الآب الصّالحة والكاملة. لكنّ يسوع عل الرغم من تعبهِ الشديد، لم يدعْ شهيتته تسيطر عليه.

إذاً كما رأينا، جميع هذه التعرّيفات ما هي إلّا صفات يسوع. وبهذه الطّريقة عاش يسوع. وقد كان ولا يزال هو هو. والنّاس الذين يثبتون فيه يجدون أنفسهم ينمون في هذه الصّفات نفسها. إنّها ثمر الحياة فيه والفسح في المجال لحياته لأن تفيض فينا ومناً. عندما نعيش في اتّحادٍ مع يسوع، تنمو حياتنا فنصبح مشابهين له.

## الثمر يستلزم تنقية.

العلاقة مع يسوع تجعلنا نُشبهه. لكنّه أشار أيضًا إلى أننا سوف نحتاج إلى تنقية إذا أردنا أن نثمر. فكما تحتاج أغصان الكرمة إلى تشذيب لإنتاج الفاكهة، كذلك يحتاج التلاميذ الذين يعيشون في علاقة مع يسوع، إلى تنقية.

كيف نفهم تشبيه التشذيب؟

إذا كان "الثمر" يعني أننا نُشبهه يسوع، فإن التشذيب يعني أن كل ما لا يشبهه يسوع في حياتنا لا بدّ أن يُقطع. بالعودة إلى تشبيه الإثمار، سنجد أنه لا بدّ من حدوث نوعين من التشذيب لزيادة الثمر. أولاً، يعني التشذيب قطع كل ما يصرف الانتباه عن الإثمار أو يعوّقه. وثانياً، يعني معالجة كل مرض يهدّد صحّة الأغصان وحيويّتها.

عندما كنتُ لا أزال في سنّ المراهقة، طلبَ منّي راعي كنيسة أن أساعده في تشذيب أشجار التفاح في بستانه. فعرفني على ما أسماه "المصاصين". تنمو فروعٌ جديدة على طول الأغصان الرئيسيّة في شجرة التفاح سنويّاً. وهذه النباتات اليافعة تنمو بسرعة، ومن شأنها، إن تركت على الشجرة، أن تحوّل النُسخ والغذاء بعيداً عن الأغصان المثمرة. أراني راعي كنيسة بصبرٍ كيف يبدو المصاصون، وبيّن لي كيف أنتزعها، وأخيراً جعلني أرجع إلى الورا وأنظر إلى الشجرة التي كان قد شذّبها. ثم أخذني إلى شجرةٍ أخرى وطلبَ منّي أن أفعل بها الشيء نفسه.

أتمنّى لو أمكنني القول إنني قمتُ بعملٍ جيّد. في الواقع، على الرغم من أنني استطعتُ اكتشاف المصاصين، غير أنني لم أملك الخبرة الكافية للتمييز بينها وبين الأغصان الصّغيرة التي لا بأس لو تركت على الشجرة. ظننتُ التشذيب سهلاً، ورحتُ أعمل مستمتعاً كمراهق، ومتعجباً من أنني أستطيع أن أتخلص من كل ما نما بحجم الإبهام بدون أدنى جهد. وعندما انتهيتُ من تشذيب الشجرة، بدت عارية لدرجة أن السماء كانت تُرى من خلالها بسهولة. لم تبدُ أبداً كما كانت

## ألم الرّفص ونعمة القبول

عليه قبلاً. لا أذكرُ ما إذا كانت الشجرة قد نجت من قطعي المتحمّس لأغصانها. ما أذكره فقط هو أنني أدركت أن عمل التنقية يحتاج إلى الكثير من التّمييز، الذي كان ينقصني آنذاك.

أكد لنا يسوع أن أباه هو "الكَرَّامُ" (يوحنا ١٥: ١)، وأنه هو الذي يقوم بالتّشذيب. لا داعي إذاً للخوف من أن يشذب حياتنا مثل مراهق قليل الخبرة. لكنّ الأب يريد تشذيب الأمور في حياتنا التي تبدّد حيويتنا الرّوحية. هل لديك أنشطة أو اهتمامات تبدّد وقتك وطاقتك ومواردك بعيداً عن مقاصد الله الصّالحة في يسوع؟ تختلف الأشياء بالطبع مع اختلاف الأشخاص. فما يلهي شخصاً ما قد يكون منعشاً وحيويّاً لآخر. والواقع هو أن العديد من "المصّاصين" في حياتنا ليسوا أشياء سيئة في حدّ ذاتها. فالهوايات، والترفيه، والتّسلية، والأنشطة، والأصدقاء، وحتى الخدمات قد تلهينا عن استقبال حياة يسوع الصّالحة والمُعيلة. وعندما تتضرّر حياتنا في يسوع، يمضي الأب في العمل على تشذيبنا.

أذكر صديقاً صالحاً أخبرني كيف نجح ذلك في حياته. عندما كان شاباً، كان يحبّ صيد الأسماك والعصافير، وقد استثمر في هوايته أفضل المعدّات. ولكن مع الوقت، وفي مرحلة ما في حياته، أدرك أن هذا السعي كان يستهلكه، وأنه أصبح مركز قلبه، وراح يصرف انتباهه عن الرّب، ويمنعه من تطوير المواهب التي منحه إياها الله لخدمة الآخرين، ويحتكر استخدامه للموارد. وإذا كان الشاب يطلب الرّب بتوية، سمعه بوضوح يأمره بأن يتخلّى عمّا أصبح حباً مبالغاً به لصيد الأسماك والطيور. وقد أطاع، فباع كلّ ما له من معدّات، وتخلّى عن الصّيد بالكامل - ليس لأنّه اعتقد أن صيد الأسماك والطيور هواية خاطئة، بل لأنّه أدرك أنّها كانت تبدّد حيويتّه الرّوحية. مكّنه "التّشذيب" من إعادة تركيز قلبه على يسوع، وإذا استعاد قلبه تركيزه، دعاه الله بعد ذلك بوقت قصيرٍ إلى الخدمة.

إنّ تشبيه التّشذيب بالتّأكيد محدودٌ. فلنسا أغصاناً بلا فكر ولا شعور. نحن في علاقة حيّة وتفاعليّة مع الله. يمكننا أن نخضع للتّشذيب ونشارك حتّى فيه،

كما فعل صديقي الصياد، ويمكننا أيضًا أن نقاومه. يحتاج أولئك الذين يخضعون لتشذيب الله في بعض الأحيان، إلى أن "يقطعوا"، مثل صديقي، نشاطًا شرعيًا لأنه أصبح يلهيهم عن الإثمار.

من ناحية أخرى، يظل أبناء الله أحيانًا في تقزمٍ روحيّ لسنوات، بدون أن يظهرَ شبهُ يسوع في حياتهم. بالنسبة إليهم، قد يأتي التشذيب في وقت لاحق في الحياة. وبشكل مفاجئ من خلال كارثة أو عندما تنهار حياتهم، يدركون أن ما استثمروا فيه طاقتهم ووقتهم ومواردهم لم يكن مثمرًا ولم ينتج عنه شيء ذو قيمة أبدية. وبالتالي سيضطرّ الآب إلى تشذيب ليس بعض المصّاصين فحسب، بل أجزاء كبيرة من قيمهم وأنماط حياتهم.

النوع الثاني من التشذيب هو علاج "للأمراض" الروحية التي تمنعنا من الإثمار. يستوجب هذا تنقيةً، وليس قطعًا. فالخطايا الداخلية وأوجه القصور في حياتنا يجب تنقيتها واستبدالها بصفات سليمة من حياة الله. بتعبير أدق، لا بد من استبدال الفخر بالتواضع، والأنانية باللطف، والمرارة بالغفران، والبخل بالكرم، والطموح الأناني بالمقاصد الحسنة تجاه الآخرين، والكراهية بالحب، والغيرة بالامتنان.

يعملُ الله بطرقٍ متنوعة لإحداث هذه التغييرات. نسمعُ كلمة الله في العظات ونشعرُ بالتبكي. ونرى ثمر الروح في حياة الآخرين، ونتوقُّ لاختبار ذلك في حياتنا الخاصة. وينطقُ مؤمنٌ يهّمهُ أمرنا بكلمات التقويم والتعليم، معالجًا بشكلٍ مباشر المشكلة في قلوبنا.

أذكرُ سيّدةً جاءت إليّ أنا وزوجتي، طالبةً المساعدة في التعامل مع ماضيها المُسيء. فقد اعتدى عليها أخوها جنسيًا، وكان والدها يسيء إليها جسديًا ولفظيًا. وما زاد علاقتها بوالدها تعقيدًا هو أنه كان يعتبر نفسه روحيًا جدًّا. وحتى بعد زواج ابنته، كانت شتائمهِ موجّهةً ضدّ ما يراه خطيئةً أو عيوبًا في الآخرين، وغالبًا ما وجدت نفسها ترتجف إذا ما أثيرت موضوعات معيّنة.

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

بعد بضع سنوات، منذ أن وجدتُ شفاءً لقلبيها، اتّصل بها والدّها ذات يومٍ وأتى لزيارتها، وبعد مرور بعض الوقت، قال شيئاً من هذا القبيل: "أنا بحاجة إلى تغيير الموضوع". خافت الابنة، وتساءلت ما عسى أن يأتي تاليًا. لكنّه أخبرها أنّ العظة في مؤتمر الأطفال دفعتهُ للشُّعور بالتبكيّ وتابع قائلاً: "أحتاج إلى أن أعترف منكِ لأنني أدركتُ أنني فشلتُ فشلًا ذريعًا في التّعامل معكِ في طفولتك، وأنا آسف."

إنّ تنقيّة قلبه التي أدّت إلى انتقاله من القسوة إلى اللطف لم تتوقّف عند الاعتذار فقط. ففي الأشهر التالية، كانت "صدمةٌ سعيدةٌ" تعتري الابنة كلّما تحدّثت إلى والدها الذي تغيّر. وقد كتبتُ لي: "ألّمسُ فيه تواضعًا ولطفًا لم أعهدهما فيه من قبل... إنّه أسعد، وأكثر استرخاءً، وأبهج، وألطف، وأكثر وداعةً ودعمًا. إنّ روح الله يشعُّ من أبي في علاقته بنا."

هذا النوع من التّنقيّة هو عمل الله في القلب. وليس بمقدورنا نحن أن ننجزه في الآخرين. إنّه يحدث عندما نفتح حياتنا لعمل الآب الصالح.

ربما الطّريقة الأكثر شيوعًا التي تخرُج من خلالها هذه الشوائب الداخليّة إلى النُّور، هي الظروف الصّعبة في الحياة. أحيانًا تكون هذه التجارب، كما نسمّيها، بإدارة واضحة من الله، وأحيانًا تكون ببساطة جزءًا من تفاعلاتنا في عالم ساقطٍ وفاسد. يستخدمُ الله هذه الظروف الصّعبة والناس للقيام بأمرٍ صالحٍ في قلوبنا. ويتحدّث العديد من مقاطع العهد الجديد عن التجارب والامتحانات كوسيلة يستخدمها الله لتنقيتنا (انظر على سبيل المثال، عبرانيين ١٢ أو آيات سفر يعقوب الافتتاحيّة).

إنّ مرورنا بالتّجارب، غالبًا ما يساعدنا على ملاحظة الشوائب في أنفسنا، مثل الكبرياء أو روح التّنافس أو الافتقاد للثّقة بالله. وإذا سرّنا في النُّور، لا بدّ أن نعترف بتلك الخطايا، والله سيغفر لنا. نستطيعُ بعد ذلك أن نفتح قلوبنا لشخص الرّب يسوع ونطلبُ منه أن يثمر فينا صفات التواضع والإيمان بدلًا من

ثابتٌ في يسوع

الكبرياء وعدم الإيمان. إنّه يتحدّثُ إلينا في هذه الأوقات، وينطقُ بكلماتٍ تعطي الحياة وتنمينا. قال يسوع: "أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ" (يوحنا ١٥: ٣). بهذه الطريقة، وفي مرّاتٍ كثيرة تتحوّل أكثر التجارب إيلامًا في حياتنا إلى أعلى اللقاءات مع يسوع.

بوسعنا أن نفهم لماذا ينصحُ يعقوبُ قائلًا: "أَحْسِبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُنْتَوَعَةٍ، عَالَمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلِيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ" (يعقوب ١: ٢-٤). يستخدمُ الله التجارب الصعبة في حياتنا لإحداثِ أمورٍ صالحةٍ فينا، والإتيان بالثمر الذي يمجّده. إنّه يجيد ذلك، ويعرف تحديدًا كيف يطهّرنا في سبيل تحقيق أكثر إثمًا ممكن.

### ردودنا حاسمةٌ عندما ينقينا الله.

إنَّ عمل الله الصّالح لإظهار شَبَه يسوع في حياتنا يحدثُ عندما "ثبّت" في يسوع. للأسف، يستنتجُ بعضُ النَّاسِ عندما يمرُّون بأوقاتٍ صعبةٍ أنّ الله لا يبالي، وأنَّ صلواتهم غير مستجابة، وبالتالي، أنّه لا ينفَعهم أن يكونوا مسيحيين. ولأنَّ الله يسمح للأشياء السيئة أن تصيبهم أو لا يبادر إلى حلِّ مشاكلهم على الفور، أو لا يساعدهم على تحقيق بعض الأهداف الشخصية العريضة على قلبهم، يلجؤون إلى الشكِّ، ويزداد إحباطهم، ويستسلمون. علِمَ الرَّبُّ يسوع أنّ تلاميذه سيواجهون أشخاصًا ومواقف صعبة للغاية. لذا في الليلة نفسها التي قال لهم فيها أن يثبتوا فيه، أخبرهم أنّ: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ" (يوحنا ١٦: ٣٣)، أو كما تردّ الآية في التّرجمة الإنكليزية الجديدة الحيّة: "هنا على الأرض، ستمرُّون بتجاربٍ وأحزانٍ عديدة.".

إذا أدركنا مَنْ هو يسوع، سنجدُ حتمًا أنّ الثّبات فيه في وقت التّجربة والحزن أمرٌ ضروريٌّ. فيتابع الرَّبُّ يسوع قائلًا: "وَلَكِنْ ثَقُّوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ." لسنا عظماء أو أقوياء أو حكماء بما يكفي لمواجهة المشاكل والتّجارب المستفحلة في

## ألم الرّفص ونعمة القبول

العالم الشّرير. يسوع هو ربُّ الكلِّ، ولا شيء في هذا العالم أعظم منه، ولا قوّة على الأرض أو في السماء تغلبه. لذا إنَّ أفضل وقت للثبات فيه، هو عند الأزمنة الصّعبة. إذا تشبّثنا بيسوع، فهو قادر على مشاركة حياته معنا، محوّلًا الصّعوبة إلى وسيلةٍ لنموّنا وتغييرنا.

إنّ ردودنا حاسمة. فالناس الذين يشعرون بالغضب والمرارة في أوقات الامتحان لا يستفيدون من وجود يسوع. عندما نواجه صعوبةً ما، نحن مدعوّون للثقة، لا للقلق. وفي تلك الأوقات، يجدرُ بنا التّعبير عن محبتنا للرّب بدلاً من الشكوى من مشاكلنا، ويجب أيضاً مصارحة الله بما نمرُّ به؛ فهو يدعونا لأن نأتي بمشاكلنا إليه. ومن الصّواب والجيد أن نركّز على صلاحه ومحبّته، ونعبّر عن ثقتنا في قدرته على رعايتنا، ونرتاح فيه.

يقدم لنا المزمور ٣٧ نصائح ممتازة لأوقات الشدّة. يحثنا المرنّم على عدم القلق بشأن النّاس الذين يجعلون حياتنا صعبة (الآية ١)، ويشجّعنا مراراً وتكراراً على أن نثق في الرّب (الآية ٣، ٥)، ويحذّرنا من خطر الشّعور بالغضب (الآية ٨)، ويدعونا بدلاً من ذلك إلى إيجاد الرّاحة في الرّب (الآية ٧) والتلذذ به (الآية ٤). وينتهي المزمور بهذه الكلمات المعزّية:

"أَمَّا خَلاصُ الصّادِقِينَ فَمِنْ قِبَلِ الرّبِّ حِصْنُهُمْ فِي زَمَانِ الضِّيقِ. وَيُعِينُهُمُ الرّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ وَيَخَلِّصُهُمْ لِأَنَّهُمْ احْتَمَوْا بِهِ."

إنّ الرّسول بولس، الذي احتمل الكثير من الضيقات والمتاعب، بما في ذلك رّفص أصدقائه السّابقين وأقاربه، شجّع إخوته المؤمنين بهذه الكلمات الملهمة: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨).

## أسئلة الدراسة

١. بينما تفكّر في ثمر الثّبات في يسوع (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣)، ما هي تحديداً الصّفات التي برأيك يريد الله أن ينتجها بقدر أكبر فيك؟
٢. إن دراسة حياة يسوع بهذه الطريقة هي تمرينٌ جيّد في الشّركة معه. انظر إلى الأمثلة المقدّمة عن يسوع وهو يُظهر ثمر الرّوح. فكّر كيف اختبرت يسوع بهذه الطّرق. وهل تستطيع أن تفكّر في حوادث أخرى أظهر فيها يسوع هذه الصّفات؟
٣. ما الأنشطة أو العادات أو العلاقات التي أعادت علاقتك بيسوع؟ أو بعبارة أخرى، ما الذي يحوّل مواردك، من وقت وطاقة، عن طلب يسوع وملكوته؟ وما الخطوات التي تحتاجها لـ "قطع" الأشياء التي تلهيك عن اتّباع يسوع؟
٤. خذ بعض الوقت، وفكّر في حالة قلبك. ما هي الخطايا الداخليّة في موافكك أو تفكيرك التي تُرهقك؟ حدّدها بالاسم. ثمّ خذ كلاً منها على حدة، واكتب بأوضح شكلٍ ممكن كيف تتجلّى هذه في حياتك وفي تفكيرك وأفعالك وتفاعلاتك مع الآخرين. بعد الانتهاء من هذا التّمرين، أحضر القائمة إلى الآب في الصّلاة، واقرأها له بصدق وصراحة، وادعُهِ إلى تنقيتك. إذا وجدت أنّك تخشى القيام بهذا، أو تميل إلى تأجيله، اقرأ كلمة الله من الشّواهد التّالية: مزمو ١٣٩: ٢٣، ٢٤ وإشعيا ٥٧: ١٥.
٥. ما هي ردود أفعالك المعتادة على التّجارب؟ بعد التأمّل بالطريقة التي بها تساعد ردودنا عملَ الله المنقّي أو تعوقه، ما هي الرّدود التي تتمنّى أن تنميها؟
٦. ما الطّرق التي رأيتَ الله يستخدمها لتحويل التّجارب إلى نموّ روحي في حياة أصدقائك أو معارفك؟
٧. كيف اختبرتَ هذا في حياتك؟



## الفصل ٨

### قبولُ بعضنا بعضًا

لقد استكشفنا إلى الآن تجربة الرِّفْض الأليمة، وطرق النَّاسِ العقيمة في الاستجابة تلقائيًا للرِّفْض، ومعجزة أن نكون مقبولين من الله وضرورتها باعتبارها الأساس الذي نستندُ إليه في استجابتنا لمن يرفضنا. في هذا الفصل، سوف نعكس الصُّورة، ونتأمَّلُ في الدعوة الكتابية إلى قبول الآخرين.

#### أعظم معجزة في حياتنا الأرضية هي أننا أصبحنا مقبولين من الآب بيسوع.

في الفصل ٦، بحثنا في هذا الواقع المجيد، لكننا بحاجة إلى تسليط الضوء عليه من جديد. وجدَّ يسوع قبولًا تامًّا من أبيه، كونه ابنًا مطيعًا وإنسانًا كاملًا.

فقد أرضى يسوعُ الآبَ بمجيئه إلى الأرض، وأرضاه من خلال رفض جميع أكاذيب الشيطان وتجاربه، وأرضاه في خدمته المُحيية والمغيِّرة للبشرية المحطّمة والمتألّمة. كما أرضاه بالإعلان عن ملكوت الله وبإظهار سلطة الله العليا التي تجلّت في تهدئة العاصفة، والشِّفاء من الأمراض، ومباركة الطعام، وإخراج الشياطين، وإبطال عمل الشيطان ولعنة الخطيئة في كلِّ مكان. وأرضى الآبَ في خضوعه للألم الرّهيِّب والموت كحمل الله المذبوح عن خطايا العالم. عندما قام يسوع من بين الأموات و"رُفِعَ في المَجْد"، تمَّ استقباله بالأحضان السماوية بكلِّ ابتهاج. يا للهتاف والفرح للذين عمّا المكان هناك!

## ألم الرّفص ونعمة القبول

كتبَ الرَّسُول بولس إلى أهل أفسس عن النعم الروحية التي لنا "في المسيح"، ومنها الحقيقة الرائعة بأنّ الله "أنعم علينا في المحبوب" (أفسس ١: ٦)، أي قبلنا في يسوع. وعندما نكون متّحدين روحياً بيسوع، إنّه يتشارك معنا قبوله المجيد في المحبوب نحن مقبولون، ولسنا مرفوضين من الآب. نحن فيه، ولسنا خارجه!

في الفصل ٢ من رسالة أفسس، يشرح بولس هذه الحقيقة الرائعة. إنّه يشير إلى أيام ما قبل المسيح ولا سيّما إلى وضعنا كأمم غير يهود، ويقول: "كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بَدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَعُرَبَاءَ عَنْ عَهْدِ الْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ. وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ" (أفسس ٢: ١٢، ١٣).

ثمّ يختتم بولس المقطع بهتاف تسبيح إذ يقول: "فَلَسْتُمْ إِذَا بَعُدَ غُرَبَاءَ وَزُجُلًا، بَلْ رَعِيَّةَ مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحِ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّوَايَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ". (أفسس ٢: ١٩-٢٢). ونحن مشمولون!

وفي مَعْرِضٍ حديثه عن أولئك الذين يؤمنون به، قدّم يسوع تأكيداً إضافياً بأننا لسنا مقبولين فحسب، بل إنّ الآب يحفظنا بأمان في هذا المقام. فقد قال: "وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أُعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي" (يوحنا ١٠: ٢٨، ٢٩).

لسنا نحن مقبولين فحسب، إنما ما من قوّة بشرية (أو حتى شيطانية) تستطيع طردنا. أن نكون مقبولين من الله يعني أن نكون محبوبين، ومحمولين، ومحفوظين، وتحت الرعاية، ومحبيين، ومتغذين. فما من كلمات بشرية مهما كانت معبرة أو جميلة أو مبهجة، تستطيع أن تصف مدى روعة وعظمة هذا المقام. يلجأ كتاب الكتاب المقدس إلى كلماتٍ وتعبيراتٍ مثل "لا يُنطقُ به"،

قبولُ بعضنا بعضًا

و"لا يُسْتَقْصَى"، و"الفَائِقَةُ الْمَعْرِفَةَ"، عندما يحاولون التَّعبير عن عجبهم وفرحهم بكونهم مقبولين من الله، ومُخْلِصِينَ من الذَّاتِ والخطيئة ولهم حياة أبدية في السَّماء.

### نحن مدعوون بعضنا لقبول بعض كما قَبِلْنَا اللهُ

إنَّ قبول الآب لنا هو قبولٌ يفوقُ كلَّ تعبير. يكفي أن ندركَ هذه الحقيقة حتَّى نقوى على تحمُّل رفض النَّاسِ، ونعمِّقُ محبَّتنا وشخصيتنا من خلال الاختبار. لكنَّ قبول الآب يدعونا أيضًا إلى ممارسة نوع هذا القبول نفسه في علاقتنا مع الآخرين.

عندما كتبَ الرَّسول بولس رسالته إلى المؤمنين في رومية، لم يكن موجودًا هناك شخصيًا، مع أنَّه كان مشتاقًا لزيارتهم. من الواضح أنَّه كان يعرفُ مؤمنين كثيرين هناك؛ فقد سلَّمَ بالاسم على أكثر من خمسة وعشرين رجلًا وامرأة في نهاية الرِّسالة. كان معظم الذين عاشوا في رومية عبيدًا (يقول البعض إنَّ نسبتهم وصلت إلى سبعين في المئة). وكانت البشارة فعالة بشكل خاص بين الطبقة الدنيا في العاصمة الرومانية. وقد كان هؤلاء العبيد والسُّجناء من خلفيات مختلفة لأنَّه تمَّ استفادتهم من جميع أنحاء العالم الروماني. وكان من شأن هذا التنوع العرقي، والثقافي، والطبقي أن ينشئ الكثير من التَّوتُّرات والرفض.

وفي رسالته إلى هذا المجتمع المسيحي الأول، قدَّم الرَّسول بولس أكثر تعليم مَوْسَع في كلِّ الكتاب المقدَّس حول احترام الاختلافات (رومية ١٤). وقد أقرَّ بوجود مؤمنين يحبَّان الإله نفسه، ويحترمان مبدأ الحقِّ نفسه، ولكنَّهما يعيشان إيمانها بطرق مختلفة، أو حتَّى معاكسة. على سبيل المثال، كان مؤمنون كثيرون من الأمم يأكلون الأطعمة التي اعتبرها اليهود أو حتى الأمم في أماكن مختلفة نجسة. وقد حثَّ بولس هؤلاء الذين كانت ضمائرهم أكثر انفتاحًا، على عدم احتقار أصحاب الضَّمير المتشدِّد أو النَّظر إليهم نظرة دونية (الآية ٣). وطلبَ من أولئك الذين كانوا أكثر تشدُّدًا ألا يحكموا على الشَّخص الذي يتيحُّ له ضميره حرية أكبر.

## ألم الرّفص ونعمة القبول

ليس احتقار الآخر وإدانته الاستجابة التي تبني شركةً قويّةً وعميقةً بين أفراد شعب الله. والتّركيز على الاختلافات بهذه الطريقة من شأنه أن يؤدي إلى الازدراء والتّحامل، والنّقد، وبالتالي إلى الإقصاء والانقسام. ومن حيث القضايا المتعلّقة بالطعام والشّراب والأيّام المميّزة، حتّى الرّسول بولس المؤمنين على احترام بعضهم إيمان بعض، وطلب "مَا هُوَ لِلسَّلَام" (رومية ١٤: ١٩) و"أَنْ نَحْتَمَلَ أَضْعَافَ الضُّعْفَاءِ" (رومية ١٥: ١). واختتمت هذه التّعليمات العمليّة جدًّا بهذه الكلمات المؤثّرة: "لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيضًا قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللَّهِ" (رومية ١٥: ٧).

إذا أردنا اتّباع هذه التّعليمات، يجدر بنا أن نولي مثال الآب في قبوله لنا عنايةً خاصّةً. كيف قبلنا؟ سوف ننظر إلى العديد من ميزات الآب في قبوله لنا، حتّى نحذو حذوه في قبولنا الآخرين.

### يُظهِرُ اللَّهُ مَحَبَّةً عَمِيقَةً وَمَلْتَمِزَةً لَيْسَهَلَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ.

ليست طريقة الله في "القبول" سلبيةً. إنّه لا ينتظر آملًا أن يأتي الناس إليه من تلقاء أنفسهم، بل يمدّ يد المحبّة لأولئك الذين لا يبحثون عنه ولا يعرفونه، وقد بنوا أسوار حماية حول أنفسهم.

إذا اتّبعتنا مثال الله، يجب ألا نقبل من يرغبون بصدقتنا فحسب، بل أن نبحت بمحبّة عن أولئك الذين يحتاجون إلى لطفنا مع أنّهم لم يطلبوه. وهذا يعني أن تكون لنا عيون ترى أولئك الذين يستترون خلف أسوارهم، وأن نهتمّ بأولئك الذين يشعرون بالخوف ويفتقدون الأمان. لا يمكننا بالطبع إجبار النّاس على صداقتنا، أو الضّغط عليهم أو التلاعب بهم. يكفي أن نُبدي لهم اللّطف والاحترام، ونساعدهم على هدم أسوارهم، والثّقة بنا بما يكفي ليفتحوا قلوبهم.

إنّ قبول الآخرين كما قبلنا الله يتطلّب مبادرةً بمحبّة الأشخاص الذين قاوموا القبول. كما يجب أن نكون على استعداد لاتّخاذ الخطوة الأولى، وتعرض أنفسنا

للجرح. فلا شيء يضمن أن يقبلَ الشخصُ الآخرَ لطفنا. وقد يعني هذا المزيدَ من الرفض، لكنَّه سيُرَّ على خطى الآبِ الحنون.

### يقبلُ اللهُ أولئك الذين أخطأوا بحقِّه.

لا يبحثُ الله عن الأشخاص الذين يتجاهلونهُ فحسب، بل يمدُّ يده لأولئك الذين رفضوه وأخطأوا بحقِّه. نحن نميلُ إلى رَفْضِ الناس الذين يرفضوننا أو في أحسن الأحوال، إلى تجاهلهم. ومع ذلك، كما يقولُ الرَّسولُ بولس، يقطعُ الله أشواطًا طويلة لإظهار محبَّته للمتمرِّدين، إذ أرسلَ ابنه ليموتَ لأجلنا، "وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ" (رومية ٥: ٨).

قد يبدو الوصولُ إلى الأشخاص الذين آذونا أصعبَ ممارسةً للمحبَّة. فعندما يتفوهُ الشَّخصُ بكلماتٍ مسيئة، أو يقوم بتصرفاتٍ حاقدة، أو يتَّخذ مواقفٍ بغیضة، لا يدفعنا ذلك بشكلٍ طبيعيٍّ إلى إظهار المحبَّة له. ولكن هذه هي طريقة ملكوت السماوات. قال يسوع بصراحةٍ شديدة: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مَبْغُضِيكُمْ بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ" (لوقا ٦: ٢٧، ٢٨).

مارستُ الكنيسة الأولى هذا مع عدوِّ لدودٍ جدًّا. فقد عمِلَ شابٌّ يهوديٌّ يشتعلُ غيرةً وحماسًا على التخلُّص من أتباع يسوع، وقد أثارَ الحشودَ وحرَّضهم على رجم استفانوس. وبينما كان استفانوس يحتضر، صلَّى وباركَ قاتليه، ما أثار في قلب شاوُل المزيد من الكراهية، ودفعه منذ ذلك الحين لأن: "يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرُ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السَّجِنِ" (أعمال الرسل ٨: ٣).

تشتَّت الكثير من المؤمنين من أورشليم هربًا من غضب هذا الفرِّيسي الغيور، ما أثار حنقه مجددًا. فقرَّر ملاحقتهم إلى المدن التي هربوا إليها. "أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهْدِدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَاثًا مِنَ الطَّرِيقِ رِجَالًا أَوْ نِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوثِقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ" (أعمال الرسل ٩: ١، ٢).

## ألم الرّفص ونعمة القبول

يمكننا بالكاد أن نتخيّل الامتحان الذي خاضه هؤلاء المؤمنون الشّباب، عندما عادَ لاحقاً هذا الرّجل نفسه إلى أورشليم ورغبَ في أن يكون في شركةٍ معهم. ربّما لم يكن بعضهم قد تعافى بعد تماماً من الضرب الذي تعرّضوا له بسببه، ولا شكَّ أنَّ آخرين كانوا يعتنون بأحبّائهم الذين عانوا أيضاً بسبب ما فعله شاول بهم. فعندما حاولَ شاول الانضمام إليهم، هل يمكننا أن نلومهم إذا "كَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تَلْمِيزٌ" (أعمال الرسل ٩: ٢٦)؟

ثم نقرأ "أَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبُّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ" (أعمال الرسل ٩: ٢٧). بعدَ عمل الرّحمة الذي قامَ به برنابا، نقرأ عن ردِّ المؤمنين المدهش: "فَكَانَ (شاول) مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ" (أعمال الرسل ٩: ٢٨).

بادل المؤمنون هذا العدوِّ السّابق الذي آذاهم وسجّنَ أحبّاءهم وقتلهم، المحبّة نفسها واللطف نفسه والترحيب نفسه الذي لاقوه من الله.

### يقبلُ الله الناس بعيوبهم.

بالنسبة إلى المؤمنين في أورشليم تطلّب قبولُ شاول الكثيرَ من النّعمة. استغرق الأمرُ اعترافاً متواضعاً بأنهم بدورهم غير مستحقّين، وأنهم كانوا أيضاً أجنيبين عن الله، وأنَّ الله قبلهم بالنّعمة. كما استلزم الأمرُ منهم فعلَ الغفران المتواضع. فكما غفرَ الله لهم، إنهم مدعوون أيضاً إلى أن يغفروا.

صحيح أن كثيرين بيننا لن يواجهوا امتحاناً كبيراً ومفاجئاً كالذي واجهه هؤلاء الناس، لكننا نتعرّضُ لامتحانات. قد تكون الدعوةُ لمسامحة الناس الهجوميين بشكل معتدل (ومستمر) واحتمالهم والترحيب بهم بمثابة امتحان لنفوسنا. الواقع هو أننا جميعاً نكون غير ناضجين عندما نأتي إلى عائلة الله، ويتوجّب علينا أن نتعلّم أن نقبلَ بعضنا بعضاً بعيوبنا.

يجدر بنا ألا نفترض أن شاول نما في لطف المسيح ووداعته فوراً. فمن دون شكَّ شهدَ تغييراً جذرياً، وتوبةً عميقة، وتواضعاً في قلبه. ولكن بعد أن سارَ

قبولُ بعضنا بعضاً

في درب القساوة والغضب طويلاً، كان لا يزال بالتأكيد يملك جوانب حادةً في شخصيته، وكان على المؤمنين في أورشليم أن يحتملوها.

ينطبق الأمر نفسه على كلِّ مَنْ يأتي إلى يسوع. وحتى لو كان قد نشأ في بيت مسيحي، فإنه لن ينضج بين ليلة وضحاها فور دخوله الكنيسة. فكم بالأحرى أولئك الذين ضربتهم خطيئة النظام العالمي وأنانيته بقوة! أذكر رجلاً كان يرثي لحاله بسبب عدم نضجه الشخصي، فقال: "عشتُ مدة ثلاثين سنة في طُرُق العالم. إنَّ تعلم طُرُق يسوع الجديدة ليس سهلاً ويستغرق وقتاً."

يجدر بنا بالتأكيد أن ندعو النَّاس إلى النُّضج الرُّوحي، حتى عندما ندعو أطفالنا إلى مسؤوليَّة أكبر. لكن علينا أن نقلل من توقُّعاتنا لتتناسب مع قدرة كلِّ منهم ونضجه. وينبغي لنا أيضاً أن نظهر لهم التفاهم نفسه والحساسيَّة نفسها التي نرجوها نحن من الآب ومن إخوتنا المؤمنين عندما نفضل.

إنَّ قبول النَّاس بعيوبهم يستلزم حكمةً لمعرفة متى يجدر بنا التَّغاضي عن المشاكل، ومتى ينبغي لنا معالجتها. كما يجب علينا أيضاً أن نمارس الرَّحمة والتوقُّع معاً، وأن ندعو بعضنا بعضاً لإظهار الشخصيَّة المسيحيَّة، وينبغي القيام بذلك بذراعي المحبة المفتوحتين.

### يقبلُ اللهُ فئات متنوّعة من النَّاس.

أتى يسوع كالمسيَّا الموعود به منذ زمن بعيد للأمة القديمة. وركَّز خدمته بالكامل تقريباً على اليهود، مع أنه أجرى معجزات شفاء لكلِّ من أظهر إيماناً. ومع أن الوعد بإرسال المسيح قُدِّم للشعب القديم، إلا أنه وعدٌ للعالم أجمع من خلال الأمة القديمة. في يوم الخمسين، أنهى بطرس رسالته بكلمات تحفِّز الدَّعوة والرجاء إذ قال: "توبُّوا وليعتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِحُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَيْنَا" (أعمال الرسل ٢: ٣٨، ٣٩).

## ألم الرّفص ونعمة القبول

وبالتّالي، إنّ الآلاف الأولى من المؤمنين الذين شكّلوا شعب الله الجديد كانت من اليهود، وكانت الاجتماعات الأولى تُقام في الهيكل في أورشليم، ومنه امتدّت إلى المناطق المحيطة بيهوذا.

ثمّ في حدثٍ دراميٍّ يشمل بطرس، ورؤية، وقائد مئة أمميّ يخاف الله، منح الربّ "يوم خمسينٍ ثانيًا" لمؤمنين غير يهود في بيت كرنيلْيوس. ومنه انتشرت الأخبار السّارة عن يسوع بسرعة بين العديد من الجماعات العرقيّة.

فقد أصبح هناك تحدّيات متعدّدة تواجه المجموعة الأساسيّة من المؤمنين اليهود. كان عليهم "مشاركة" المسيح مع أولئك الذين كانوا "بعيدين"، مع كلّ رجل أو امرأة يلجأ إلى الربّ يسوع بالإيمان، ومع اليونانيّين، والرومان، والآسيويّين، والأثيوبيّين، والعبيد البربريّين من خلفيّة وثنيّة. علاوةً على ذلك، كان يجدر بهم أن ينادوا جميع هؤلاء المؤمنين الجدد "إخوة وأخوات" في عائلة الله دون تمييز أو أحكام مسبقة ودون إلزامهم بأن يصبحوا يهودًا.

كما أوضح بولس: "لأنّكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأنّ كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهوديًّا ولا يونانيًّا. ليس عبدًا ولا حرًّا. ليس ذكرًا وأنثى، لأنّكم جميعًا واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩).

كان ينبغي للمؤمنين بيسوع أن يقبلوا بعضهم بعضًا، وألا ينظروا بعضهم إلى بعض نظرةً دونيّة أو فوقيّة أو بارتياب. وكان على المؤمنين الرّومان أن يقبلوا المؤمنين اليهود (بالنسبة إلى بعض الرّومان كان الأمر عسرًا، تمامًا كما كان الأمر بالنسبة إلى اليهود أيضًا). وكان يجدرُ بأصحاب الأراضي والتّجار المؤمنين أن يقبلوا العبيد المؤمنين باعتبارهم إخوة وأخوات ومعاملتهم على هذا النّحو. كما وجبَ على الرّجال ألاّ يحتقروا النساء، وكذلك على النساء ألاّ يقللن من شأن الرّجال.

في عائلة الله، كان لا بدّ من قبول جميع المؤمنين الجدد كأعضاء كاملين. لكن في مجتمع يهتّم بالأصل العرقي، ويعدُّ الطبقات مسألةً مصير (أو إيمان)، ويرى المرأة وكلمتها غير جديرتين بالثقة، كانت دعوة "اقبلوا بعضكم بعضًا" بكلّ رحابة صدر تُعدُّ أمرًا مُحرّرًا وصعبًا في الوقت نفسه.

تبيّن لنا تعاليم الرُّسل مرارًا وتكرارًا، أنّهم لم يكونوا بصدد الإطاحة بالنُّظم الاجتماعيّة (انظر مثلاً كولوسي ٣: ١٣-٤: ١ و١ بطرس ٢: ١٣-١٨). فقد كان على اليهود المؤمنين أن يكرموا قادتهم الرُّومان ويصلُّوا من أجلهم، وعلى العبيد أن يخدموا أسيادهم الأرضيين "بكلِّ هَيَبَةٍ"، وعلى الأسياد أن يعاملوا عبيدهم بلطف كإخوتهم في المسيح عالمين أنّ لهم أيضًا سيّدًا. وكان ينبغي للزوجات أن يخضعن لأزواجهنّ، والأزواج أن يحبُّوا زوجاتهم محبةً مُضحية مثل محبة يسوع لشعبه المفديّ.

لم تتمَّ الإطاحة بالنُّظم الاجتماعيّة عن طريق المساواة في يسوع، لكنّها شهدت تحوُّلاً. بعبارة أخرى، إنّ قبول بعضنا بعض كإخوة وأخوات لم يكن يعني أنّ للجميع مستوى المسؤوليّة نفسه، أو أنّهم يشغلون المنصب نفسه، أو أعطوا السُّلطة نفسها في المنزل، أو الكنيسة، أو الهيكل الاجتماعيّ.

صحيحٌ أنّ المحبة والاحترام المتأصّلين في المسيحيّة قانوماً (ويقاومان) النُّظم الاجتماعيّة القمعيّة (سواء داخل الكنيسة أو خارجها)، لكن ما تزال هناك حاجة إلى هيكلية. أملنا ليس في الحصول على هيكلية سليمة تمامًا (مع أنّ هناك حاجة للإصلاحات بشكل مستمرّ)، بل في ممارسة النعم المسيحيّة الحقيقيّة من محبة، وتواضع، واحترام، واحتمال، ولطف. إنّ المحبة النعميّة التي لنا في يسوع تمكّن الهياكل الاجتماعيّة، حتى المعيبة منها، من توفير النُّظام كي يعمل المجتمع بسلاسة.

إذا استمرتّ عائلة الله في الكفاح للارتقاء إلى مُثلها العليا، كم بالأحرى سيفعل المجتمع العام! لطالما كانت الأنانيّة، والجشع، والتّحامل، والهيمنة

## ألم الرّفص ونعمة القبول

العنصرية، والقمع جزءاً من النّظم الاجتماعيّة البشريّة على مرّ القرون، وما تزال إلى الآن. في الولايات المتّحدة، على سبيل المثال، على الرغم من المساواة المعلّنة لجميع النّاس، وشُرعة الحقوق، وإعلان تحرير العبيد، وحركة الحقوق المدنيّة، ما يزال مجتمعنا فاسداً. فالتحيّز العنصري لا يزال يتجلّى في إنفاذ القانون، والنّظام القضائي، وفي حياة الأفراد. إنّ دعوة "اقبلوا بعضكم بعضاً" في يسوع سوف تقاوم النّظم الاجتماعيّة الفاسدة، والأهمّ من ذلك، أنّها ستدعو المؤمنين الحقيقيين للتصرّف بناءً على وحدتهم في يسوع، وعيش محبّتهم المعلّنة، وإظهار الاحترام الذي يتخطى حدود العرق، والجنس، والوضع الاجتماعي.

### يقبلُ الله بشكلٍ خاصّ الأشخاص الذين رَفَضَهُم الآخرون

إنّ إحدى الميزات الأكثر تأثيراً التي تمّ التنبؤ بها عن المسيح هي اهتمامه بالمضطهدين:

"قَصَبَةٌ مَرُوضَةٌ لَا يَقْصِفُ وَفَتِيلَةٌ خَامِدَةٌ لَا يُطْفِئُ" (إشعياء ٤٢: ٣).

وأيضاً،

"رُوحَ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَسِيئِينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَآسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ" (إشعياء ٦١: ١).

وقد أظهر يسوع في خدمته مراراً وتكراراً هذا الاهتمام بالفقير والمسكين، والمنكسر القلب، والمنبوذ. إليكم لائحة جزئية بذلك:

- ❖ قدّم يسوع ماءً حياً لامرأة سامريّة كان لها عدّة أزواج (يوحنا ٤).
- ❖ أخرج يسوع مجموعة من الشياطين من رجل عاش عارياً ومتوحّشاً ومتروكاً بين القبور. فألبسه، وجلسا وتحدّثا، وقد عرف الرجل اللطف والاحترام لأول مرّة منذ سنوات (لوقا ٨: ٢٦ - ٣٩).
- ❖ توّسل رجل "مملوء برصاً" إلى يسوع كي يشفيه، وفي الواقع تقدّم يسوع

نحوه ولمسه، وكان هذا عملاً لطيفاً وغريباً تماماً لم يختبره هذا الرجل من قبل (لوقا ٥: ١٢-١٦).

❖ امرأة مريضة صرفت كل ما لها للأطباء دون جدوى، وباتت فقيرة، وخجولة، ويائسة. وجاءت من وراء يسوع ولمست هُذب ثوبه بإيمان. فلم يمنحها يسوع شفاءً فحسب، بل بحث عنها وبارك إيمانها علانيةً (لوقا ٨: ٤٣-٤٨).

❖ امتدح يسوع علناً السامري المحتقر من اليهود الذي أظهر رحمةً للرجل الذي سرقه اللصوص وضربوه، في حين مرَّ يهودٌ ذوو مركز مرموق من جانبه دون أن يحركوا ساكناً لمساعدته (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).

❖ عندما انتهر التلاميذ الناس لأنهم أتوا بأولادهم إلى يسوع، قال لهم: "دعوا الأولاد يأتون إليّ". كان يحب حمل الأطفال بين ذراعيه ومباركتهم (لوقا ١٨: ١٥-١٧).

❖ متسولٌ أعمى، سمع أن يسوع كان يمرُّ في الجوار، فصرخ طالباً المساعدة. حاول الناس من حوله إسكاته، ولكن يسوع توقف، وناداه، وشفاه من العمى، وأثنى على إيمانه (لوقا ١٨: ٣٥-٤٣).

❖ أثارت امرأة كنعانية ضجةً عندما راحت تتوسل إلى يسوع كي يشفي ابنتها حتى إن تلاميذه طلبوا منه أن يصرفها. ومع أن يسوع في البداية بدا غير راغب في مساعدتها (ربما لامتحان صدق سعيها له)، غير أنه عاد فاستجاب ليس عبر شفاء ابنتها فحسب إنما بمباركتها أيضاً إذ قال لها: "يا امرأة عظيم إيمانك!" (متى ١٥: ٢١-٢٨).

❖ رجلٌ معوقٌ بدون أصدقاء أو أقارب يرعونه كان يرقد لسنوات قرب بركة في أورشليم. فخصَّ يسوع هذا الرجل الذي "ليس له إنسان" وشفاه (يوحنا ٥: ١-٩).

❖ امرأة زانية أحضرها الكتبة والفريسيون إلى يسوع، وطلبوه بأن يحكم عليها علناً بالجزاء الذي يظن أنها تستحقه. رأى يسوع ذلها وعرف قلبها

## ألم الرّفص ونعمة القبول

وقلوب متّهميها، واستجابَ بشكلٍ دَفَعٍ مُتّهميها إلى المغادرة في حرجٍ أو ذنب. وقالَ بهدوءٍ لهذه المرأة التي كانت تشعرُ بالعار: "ولَا أَنَا أُدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تَخْطِي أَيضًا" (يوحنا ٨: ١-١١).

❖ حتّى الجنود الرُّومان الذين صلبوا يسوع سمعوا كلمات النُّعمة: "يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا ٢٣: ٣٤).

منح يسوع الحياة والأمل للمُهمّلين والمُحتقرين، وإذ تحوّلوا إليه، قَبِلَهُمْ بلطفٍ ونعمةٍ. والمثير للسخرية أنّ القادة الدينيين المتزمتين انتقدوه بسبب ترحيبه بالمكسورين وقبولهم، كما هو مكتوب: "فَتَدَمَّرَ الْفَرِيْسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: "هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ" (لوقا ١٥: ٢). كلُّ ما كان بوسعهم رؤيته هو عدم استحقاق هؤلاء الخطاة، ولذلك لم يستطيعوا رؤية احتياجهم الخاصّ.

يستطيعُ كلُّ مؤمنٍ أن يضيفَ قصّته الخاصّة إلى جانب الأمثلة المذكورة أعلاه من خدمة يسوع. فقد ضمّنا الله إليه، بغضّ النظر عن ماضيها. وعلى الرغم من انكسارنا، وكبريائنا، وشهوتنا، ومرارتنا، وجشعنا، وفشلنا، قَبِلْنَا بذرايعين مفتوحتين بكلِّ لطفٍ، ولمسنا، وشفانا، وسمّعنا، وأنقذنا، وسامحننا، وطهّرنا، وحدّثنا بكلمات الغفران والنُّعمة والأمان.

من حياة يسوع ومثاله، تصدر هذه الدَّعوة القويّة: "لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيضًا قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللَّهِ" (رومية ١٥: ٧). نحن مدعوون للسَّير على خطى يسوع، لنكون خدام النُّعمة، المقدّمة بشكلٍ خاصٍّ للفقير، والمشلول، والجائع، والحزين، والمتألّم، والمكسور. وكلُّ مَنْ يلجأ إلى الرَّبِّ يتمُّ استقباله بالأعياد والأفراح. دعونا نتذكّر أنّ يسوع روى قصّة الابن الضال ردًّا على الانتقاد الذي تلقّاه لأنّه كان يقبلُ الخطاة.

لا نبالغُ إذا تحدّثنا عن مدى قوّة القبول. فقد يكون قبول الآخريين بانفتاح وسيلةً يختبرون من خلالها قبول الله لهم.

قبولُ بعضنا بعضاً

يروي هوارد هندريكس، وهو معلّمٌ قديمٌ، كيف غيّر قبولُ معلّم مدرسة الأحد له حياته. نشأ هندريكس في عائلة مفكّكة في منطقة في فيلادلفيا، تفاخَرَ بعضُ سكّانها باستحالة زرع آية كنيّسة. لكنّ مجموعة صغيرة من المسيحيّين أنشأوا كنيّسةً في أحد المنازل، وقد خرجَ أحد الرّجال، ويُدعى والت، إلى الشّوارع ليجمع طلاباً لصفّ مدرسة الأحد. وعندما دعا هندريكس الصّغير إلى مدرسة الأحد، أجابه هذا الأخير بالرفض المُطلق. ولكن عرّضَ والت بعدئذٍ اللّعب بالكرات الزجاجة، فانضمَّ إليه هندريكس بسرور. إليكم وَصف هندريكس لِمَا حدث:

جمعَ والت ثلاثة عشر صبياً من ذلك المجتمع لصفّ مدرسة الأحد، وكان تسعة منهم من عائلات مفكّكة. وقد باتَ الآن أحد عشر من الثلاثة عشر يعملون في الخدمة المسيحية بدوام كامل.

صحيح أنني لا أستطيع أن أنقل لكم الكثير ممّا قاله والت لنا، ولكن بوسعي أن أخبركم كلّ شيء عنه ... لأنه أحبّني من أجل المسيح. أحبّني أكثر ممّا أحبّني أهلي.

اعتادَ والت أن يأخذنا في نزهة، وأنا لن أنسى تلك الأوقات أبداً. أنا متأكّد من أننا زدنا حالة قلبه سوءاً، لكنّه كان يقطع الغابات معنا لأنّه يهتمّ ... والسبب الوحيد لوجودي في حقل الخدمة اليوم هو أن الله وَضَعَ في طريقي ذلك المعلّم الملتزم.<sup>1</sup>

لا يتسنّى لمن عانى رفض الأسرة والأصدقاء أن يختبر مرحلة الشفاء دائماً. ينبغي لنا أن نسمح لتلك التجربة بتشكيل قلوبنا كي يخرج منها لطفٌ وتفهُّمٌ ورفقٌ بالمنبوذين. يجب أن ندافع عنهم أمام الله والإنسان، ونعتني بهم، ونستخدم مواردنا لتلبية احتياجاتهم، وننطق بكلمات التّشجيع والبركة، ونقبلهم. ينبغي أن يجدوا في قلوبنا القبولَ الحارّ. إنّ خدمة النّعمة واللطف هي الوقود للشفاء

1 Howard Hendricks, *Teaching to Change Lives*, (Multnomah Publishers, Sisters, OR, 1987), p. 14.

## ألم الرّفص ونعمة القَبول

المستمرّ في قلوبنا، لأنّ الذي تعلّم أن يحبّ محبّةً فعليةً لا يستطيع أن يبقى مجروحًا لوقتٍ طويل.

عدنا إذًا إلى نقطة البداية. بعد أن نتعرّض للرّفص، نتوجّه إلى يسوع. وفي يسوع، نختبر قبولًا يفوق كلّ قبولٍ أرضيٍّ، وننالُ نعمةً للتّعامل مع كلّ رفضٍ نختبره في هذه الحياة. وإذ نفرحُ ونبتهجُ بنعمة الله، نصبحُ خدام النّعمة للآخرين، ونقبلهم كما قبلنا.

مجدًا لله!

### أسئلة الدّراسة

١. فكّر في ما كلف الله والآخريين من تغاضٍ ونسيانٍ، لقبولك في عائلة الإيمان. حاول تحديد عددٍ من هذه الأشياء، ثم اكتب صلاةً شكرٍ لله على كيفية قبولك.
٢. مَنْ هم الناس الذين تواجه صعوبةً كبيرةً في قبولهم بلطفٍ؟ خذ هذه القائمة إلى الرّبِّ واطلب منه أن يوضّح لك الطرق المحدّدة التي يريد منك من خلالها أن تُظهر لهم اللّطف. قد ترغب بإبقاء هذه القائمة مفتوحة، وتستمرّ في انفتاحك لتعليمات الله.
٣. فكّر في النّاس من حولك الذين قد تنبذهم. هل من جيران أو أشخاص في مدرستك أو كنيستك أو مكان عملك يتجاهلهم الآخرون بانتظامٍ؟ ما هي احتياجاتهم؟ وكيف يطلب منك الله أن تصلّ إلى هؤلاء الناس؟
٤. أيّة قصّة من قصص قبول يسوع المنبوذين لَمَسَّتْكَ بشكلٍ خاصٍ؟ أخبرنا لماذا تعني لك.
٥. إذا كان يسوع يعيش في مجتمعك، من سيزورُ برأيك؟ ولماذا؟ وماذا تظنّ أنّه كان ليقول أو يفعل؟ هل يعطيك هذا أفكارًا لزيارة جيرانك أو التّحدّث إليهم؟



